روائع الأدب العربى
(الأعمال النثرية)

دين الله واحد

محمود أبورية



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

دين الله واحد
على ألسنة جميع الرسل
محمد والمسيح أخوان

« إن هذه أمتكم ، أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون »
(قرآن كريم)

محمود أبورية

مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(روائع الأدب العربى)

(الأعمال النثرية)

دين الله واحد

محمود أبو ريه

لوحة الغلاف

للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

مراد نسيم

أحمد صليحة

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركز

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

المشرف العام

د . سمير سرحان

الإهداء

إلى الذين يدينون من الناس بدين الحق ، ويريدون أن
تسود روح المحبة بين جميع الخلق ، أهدى هذا الكتاب ؟

محمود أبو ريه

أنا أولى الناس بعيسى فى الدنيا والآخرة — والأنبياء إ

لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد .

(حديث بخارى)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى — وبعد :

فإن بداءة العقول تقضى بأن الله سبحانه وتعالى — وهو رب العالمين ، المتصف بالحكمة والعدل والرحمة — لا يدع مَن فطرهم على ما هم عليه من الغرائز والطبائع البشرية هملا ، ويلقى بهم فى خضم هذه الدنيا يمشون فى مناكبها مكبين على وجوههم بغير مرشد يدلهم على الطريق القويم ، ويهيمون بعقولهم المختلفة بغير هاد يهديهم إلى الصراط المستقيم !

ولكن اقتضت حكمته العالية أن يبعث إليهم رسلا من أنفسهم ، يبينون لهم وجه الحق فى علاقتهم ببارئهم ، وما يجب أن يكونوا عليه فى هذه الحياة حتى ينالوا السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقد وصف الأستاذ الإمام محمد عبده هؤلاء الرسل « بأنهم من الأمم — بمنزلة العقول من الأشخاص » وأن بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة الله المبدع الحكيم بسدادها « ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه — ولكنها حاجة روحية وكل ما لامس الحس منها فالقصد فيه إلى

الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة ، أو تقويم ملكاتها ، أو إيداعها ما فيه سعادتها فى الحياتين . وبين وظيفتهم بقوله إنهم :

« يجمعون كلمة الخلق على إله واحد ، لا فرقة معه ، ويخلّون السبيل بينهم وبينه وحده(١) ، — ويذكرونهم بعظمته ، بفرض ضروب من العبادات — تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى ، تقوّى ما ضعف منهم ، وتزيد المستيقنين يقيناً ويبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم .

« يعودون بالناس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة — ويعلمونهم أن يرعى كل حق الآخر ، وأن لا يغفل حقه ، وأن لا يتجاوز فى الطلب حده ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم — بأمر الله — حدوداً عامة ، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق ، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق ، مع بيان الحق الذى يبيح تناوله ، واحترام الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع(٢) ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانة ،

---

(١) أى يدعونه ويتقربون إليه بما شرع لهم من الدين لا بوسائط من الخلق تقربهم إليه كحجاب الملوك ووزرائهم .

(٢) أى الاتصال الجنسى من زواج وغيره .

والوفاء بالعقود، والمحافظة على العهود(١) والرحمة بالضعفاء، والإقدام على نصيحة الأقوياء، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء.

«يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية، إلى طلب الرغائب السامية، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير حسبما أمر الله جل شأنه».

«يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم، وما يعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة، وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده، وأخذ بأوامره، وتجنب الوقوع فى محظوراته».

«بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور، ويعتصم المرزوء بالصبر، انتظاراً لجزيل الأجر، أو ارضاء — لمن بيده الأمر — وبهذا ينحل أعظم مشكل(٢) فى الاجتماع الانسانى — لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى حاله إلى اليوم»:

«وأما تفصيل طرق المعيشة، والحذق فى وجوه الكسب، وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم — فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة

---

(١) ومنها المعاهدات الدولية

(٢) يعنى مشكل العمال وما نشأ عنه من الشيوعية والفوضوية وغير ذلك.

والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً فى الاعتقاد — بأن للكون إلهاً واحداً قادراً عالماً حكيماً متصفاً بما أوجب الدليل أن يتصف به ، وباستواء نسبة الكائنات إليه فى أنها مخلوقة له ، وصنع قدرته ، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال ، وشرطه أن لا ينال شىء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر فى نفسه أو عرضه ، أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حدد فى شريعتها».

«وليس من وظائف الرسل ما هو عمل المدرسين ومعلمى الصناعات، فليس مما جاءوا به له تعليم التاريخ ،ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ،ولا ما استكن من طبقات الأرض ،ولا ماتحتاج إليه النباتات فى نموها وغير ذلك مما وضعت له تلك العلوم ، فإن ذلك كله من وسائل الكسب ، وتحصيل طرق الراحة — هدى الله إليه البشر بما أودع فيهم من الإدراك ، يزيد من سعادة المحصلين ، ويقضى فيه بالنكد على المقصرين » (١) .

* * *

أجملنا لك حقيقة وظيفة رسل الله ، وما أوتوا به من هداية وإرشاد على أكمل وجه — ومن مثل الأستاذ الإمام محمد عبده — يستطيع أن يبين ذلك كله على هذه الصورة الرائعة .

---

(١) عن رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده من ص ١١٨ إلى ص ١٢١.

وإنك لترى : أن سعادة الناس إنما تكون فى اتباع هؤلاء الرسل ، وأنه لا غنى للحياة الصحيحة الطاهرة عن هدايتهم ، وإذا كان الله قد سخر الشموس لتستضىء به النواظر ، فإنه قد بعث الرسل لتهتدى بها البصائر .

* * *

وهذا الذى يأتى به الرسل إلى الناس هو المعروف (بالدين)

ولما كان تطاول الزمن ، وامتداد العصور . قد يمحى من أصول هذا الدين أو يدخل عليها ما ليس منها — فإن الله سبحانه يرسل رسله تترى — ليجددوا ما يكون قد تغير منه ، ويبينوا للناس من شرعه ما فيه صلاحهم فى كل عصر . وبعد انقضاء عهد الرسالات النبوية يبعث الله من عباده العلماء ليجددوا الدين ويجعلوه من وسائل عمارة الأرض ونفع الناس .

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن الله سبحانه رب لجميع الأكوان ، وإله الناس فى كل زمان — فإن العقل السليم ، والمنطق الصحيح يقضيان — ولا ريب بأن (دين الله) يجب أن يكون واحدا وأن أصوله ، لا تختلف باختلاف العصور ، وتعاقب الدهور ، وإنما الذى يختلف باختلاف الزمان إنما هى الشرائع التى تتغير بحسب تطور العمران ، ونظام الاجتماع بين بنى الإنسان ، فما يكون لله من حقوق وواجبات — وهو المعبر عنه (بالعقائد والعبادات) فإنه لا يتغير إلا فى بعض أشكال العبادة وصورها ، وهذا بديهى — مادام

المعبود واحداً — وشكل العبادة فى ظاهرها وصورها لا يغير من لبها وروحها ، ولا أن مصدرها — هو القلب .

أما أحكام الحياة ونظمها — وهو المعبر عنه (بالمعاملات) فإنه يتغير بتغير الزمان وأحوال الناس ، وطبائعهم وطرائق معايشهم، كما تتغير القوانين الوضعية بين الفينة والفينة — ذلك بأن ما يصلح لزمن نظم المعاملات لا يصلح لآخر — سنة الله فى الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الأمر قد تركه الله للناس كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده، وفى ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم «أنتم أعلم بأمر دنياكم» (١)

هذا هو المعقول، الذى اتفق عليه علماء المعقول والمنقول، إذ لا يصح أن يغير الله دينه بين فترة وأخرى — فيجعله لرسول على صفة ، وينزله على غيره بشكل آخر يخالف الأول ، فإن ذلك من عمل الإنسان الذى من طبعه التغيير والتبديل دائماً .

لو علم الناس هذه البدائه على وجهها ، وتوافوا على فهمها لتعارفوا : إن دين الله يجب أن يكون واحداً فى كل زمان ولأيقنوا :أن رب نوح ، هو رب ابراهيم ، وموسى ، وعيسى

---

(١) وذلك فى حديث تأبير النخل بالمدينة لما أشار عليهم بعدم تأبيره فخرج البلح شيصاً، ولما علم بذلك قال هذا الحديث العظيم، الذى يجب أن يكتب فى كل مكان ، رواه مسلم .

ومحمد وغيرهم من الرسل — من علمنا منهم ومن لم نعلم — وان عباده جميعاً أمام الله سواسية «كل امرىء بما كسب رهين (١) فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(٢)

لو عرف الناس ذلك كله — وأيقنوا معه أن الله قد خلق لهم مافى الأرض جميعا ، وسخر لهم مافى السموات والأرض، وأنه لم يختص بشىء مما خلق أو سخر أهل دين من الأديان ، وإنما جعل الانتفاع بذلك كله للعمل المبنى على العلم والتجربة — فلم يجعل الماء لموسى، ولا الأرض لعيسى ، ولا الهواء لمحمد، وإنما خلق مافى الأرض للناس كافة وجعل وراثة الأرض للصالحين منهم لها — وليس الصالحون هم الذين يطيلون لحاهم ويلونون عمائمهم، ويديرون السبح بين أصابعهم كما يفهم الجهلاء وإنما هم الصالحون لعمارتها والانتفاع بذخائرها الظاهرة منها والباطنة .

لوعرف الناس ذلك كله وأدركوه بعقول صحيحة وقلوب سليمة لأصبحوا جميعا فى هذه الحياة القصيرة إخوانا متحابين ، يضربون فى هذه الأرض متعاونين كل بسعيه ، طاهرة نفوسهم ، متحدة قلوبهم ، كما أمرت بذلك أديانهم ، باذلين جهودهم فيما يعود بالخير والنفع عليهم .

(١) الآية ٢١ من سورة الطور .

(٢) الآيات ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .

وأما عباداتهم — وإن اختلفت — كما قلنا — فى بعض صورها فإن روحها منبعثة من القلوب، وان تباينت أشكالها فإنها متحدة فى لبابها وغايتها التى تنتهى الى مالك الملك علام الغيوب .

فلكل واحد أن يؤديها على الصورة التى يدينها دينه . إن فى معبده أو فى بيته أو فى خلوته ، أو فى أى بقعة من الأرض فأينما يولوا وجوههم فثم وجه الله . وبعد أن يؤدوا عباداتهم يعودون جميعا الى العمل كل فيما يحسنه، وبذلك تكون الحياة سعيدة الأمن شاملا .

لو سرنا على هذه السبيل المستقيمة كلنا كأسرة واحدة يأتيها رزقها رغدا لا يكدر صفو عيشها شىء . ولكن وأسفا فإن أهل الأديان السماوية قد اختلفوا فيما يجب الاتفاق عليه وتنازعوا فيما يدعو الاتحاد إليه ،وبذلك أصبحت الحياة فيما بينهم عداء وتخالفا ، وهذا لاريب له أثر بعيد فى حياتهم واجتماعهم فهذا يقول : دينى أفضل من دينك ! وذاك يقول : إن الخير كل الخير فيما أنا عليه ، وإن الضلال كل الضلال فيما عليه غيرى ممن يخالفنى فى الدين .

ولو علموا جميعا حقيقة أمرهم وعرفوا قدر أنفسهم لتواضعوا أمام عظمة ربهم ولأيقنوا أن الأمر ليس بأمانى أحد منهم، وأن من يعمل سوءاً يجزيه ، وأن الموازين العادلة ليست بيد أحد من أهل الأرض وإنما هى بيد الحكيم الخبير علام الغيوب الذى لا يظلم مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه رب العالمين جميعا ، من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وصابئين والذين أشركوا وغيرهم من جميع

الملل والنحل — وهو وحده الذى يفصل بينهم جميعا بعدله يوم القيامة كما جاء فى القرآن الكريم :

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا — إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد » (الآية ١٧ من سورة الحج)

وقال فى الآية الاربعين من سورة الدخان « إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » فيعذب الله فيه من يشاء ، ويرحم من يشاء ، لا معقب لحكمه .

وإن أنسى لا أنسى ليلة كنت فيها بمجلس ضم بعض رجال الدين فدخل علينا أحد المحامين الشرعيين وقال فى أسى : لقد مات اليوم فلان — رحمة الله — وما أن نطق بأسم الميت وكان محاميا قبطيا حتى قامت صيحات من بعض من كان معنا تستنكر على أخيهم أن يطلب الرحمة من الله لهذا (القبطى) ؟ فبهت المحامى ولم يستطع أن يجيب بشيء (١)

---

(١) عن الحسن ، قيل لرسول الله : إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين ، فقال : ونحن نستغفر لهم . وعن على : رأيت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما مشركان ، فقلت له فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه . وقال الزمخشرى فى الكشاف إن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه : لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك ص ١٧٤ ج ٢ .

وسلم الشعبي الإمام الجليل على نصرانى فقال : السلام عليكم ورحمة =

فعجبت لذلك وقلت لهم : ماذا فيما قاله الأستاذ المحامى ؟ فأجابوا، كيف يطلب الرحمة لنصرانى وهو كافر والرحمة لاتنال الكافرين! فقلت لهم : إذا كان حكمكم على الكافر صحيحا فإن النصرانى ليس بكافر ! ولما أصروا على رأيهم قلت لهم : إذا كان النصرانى كافرا فكيف يباح للمسلم أن يتزوج بالنصرانية، والآية الكريمة تقول: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر (١) فأجاب بعضهم ، إن هذا لايجوز ! فقلت له : لقد جهلت أحكام دينك ! إن للمسلم أن يتزوج النصرانية ، وعليه أن يرافقها فى أيام الآحاد ، والأعياد إلى كنيستها ، لتسمع المواعظ من قسيسها ! ولما سلموا جميعاً بذلك نهض بعضهم فقال : إن النصارى مشركون ! فقلت له : إن الأمر فى هذه كالأمر فى تلك ! لأن الآية تقول : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . (٢) ولج بعضهم وأصر على أن النصرانى لا تشمله رحمة الله ! فقلت له : ياهذا ألم يكن النصرانى من بنى آدم ؟ وألم يكن من الناس ؟ فقالوا جميعاً : نعم ، فقلت : إذن اقرأوا هاتين الآيتين الكريمتين .

«يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى .فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»

(٣٥ الأعراف)

= الله، فقيل له فى ذلك، فقال :أو ليس فى رحمة الله ؟ لولا ذلك لهلك .ص٧٧ ج١ تذكرة الحفاظ .

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .(٢) الآية ٢٢١ من سورة البقرة .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ».
(١٣ الحجرات)

فكل من يتقى الله ويصلح فلا خوف عليه ، والأساس الأول هو التقوى ، وهنا انتفض بعضهم وقال : إن التقوى خاصة بالمسلمين والمتقون هم المسلمون ! فقلت له يامولانا الشيخ إن تقوى الله مطلوبة فى كل مخلوق ، وأهل الكتاب قد أمروا قبلنا بتقوى الله ووصاهم الله بها كما وصانا فقال تعالى : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ، أن اتقوا الله (١٣١ من سورة النساء) . وهنا قال أحدهم : كأنك تجعل النصارى من أهل الكتاب ؟ فأجبته لست أنا الذى أجعلهم من أهل الكتاب ، وإنما الذى جعلهم كذلك هو الله سبحانه ، وقد أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم على أنهم أهل كتاب وذلك فى قوله سبحانه :

« قل ياأهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله . ولا نشرك به شيئاً — ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »
(٦٤ آل عمران)

فقال : وهل تنال رحمة الله أهل الكتاب كما تنال المسلمين فقلت له : إن باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه لكل عباده ،

اقرأ إن شئت هذه الآية الكريمة :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون [١] » فكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحا فهو ناج بفضل الله إن شاء الله، ذلك بأن هذه الصفات الثلاث، هى أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول فمن اتبع احكامها ، وأقام أصولها — من أى دين كان — فاز برضوان الله . ومن أخل بشيء منها واتبع هواه ، فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه، وإن شاء عذبه ، وهو سبحانه غفور رحيم — لا يسأل عما يفعل ! وكذلك لا أنسى جدالا قام بين شيخ مسلم وبين أحد إخواننا الأقباط قال فيه هذا الشيخ — عندما أحتدم الجدال : حقاً لقد صدق الله العظيم حيث يقول« ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» فكدت أتميز من الغيظ لجهل الشيخ بما فى كتابه فقلت له : ياسيدنا الشيخ كيف تفترى على الله، وتستشهد بآية لا تفهم معناها ؟ إن الله سبحانه لم يقل ذلك . فركبتـــه الحماقة وقال : كيف ترميني بالافتراء على الله والآية ثابتة فى المصحف . فقلت له : اقرأ ماقبلها وما بعدها يتجلى لك معناها — ولما قرأ ماقبلها وما بعدها

---

(١) الآية ٢٦٢ من سورة البقرة .

وعلم أن الذين قالوا ذلك هم اليهود بُهت (١)

ولما أدركه الحصر قلت له : حرام عليكم ياموناالا أن تفتروا على الله،وأن تأخذوا مافىالمصحف الشريف وتفهموه على مايقضى به علمكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وبخاصة النصارى — والذين أشار إليهم القرآن بأنهم : أقرب الناس مودة للمسلمين، وذلك فى الآية الكريمة:

لتجدن أشد الناس عداوة للذينآمنوا اليهود، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا : الذين قالوا : إنا نصارى ذلك بأن منهم ، قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون (٢) .

(٨٢ المائدة)

---

(١) هذه هى الآيات الكريمة «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنو بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ،أو يحاجوكم عند ربكم ، قل: إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن أهل الكتاب من إن أمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٢ — ٧٥ آل عمران)

(٢) لم تقل الآية : وإنهم غير مؤمنين بمحمد أو إنهم مسلمون معك

وجاءت الوصية الكريمة من محمد صلوات الله عليه صريحة بالوصية بالقبط فقال : «استوصوا بالقبط ، فإن لهم ذمة ورحما ». رواه مسلم

وإن الذى يملأ النفس أسى أن هذه الآية الكريمة (١) ما تزال تجرى بهذا الفهم الخاطىء على ألسنة كثير من مشايخ المسلمين وعامتهم وهذا ولاريب له أثر بالغ فى تمزيق الروابط بين المسلمين وإخوانهم الأقباط، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم باسم الدين، على حين أن الاتحاد واجب بين أبناء الأمة جميعا لارتباط مصالح بعضهم بمصالح بعض ، فإذا لم يكن الاتحاد مما يدعو إليه الدين ، فإن الاجتماع يحتمه بينهم بل ويفرضه عليهم وبخاصة فى هذا العصر (٢).

---

(١) أى الآية : ولا تأمنوا إلا لمن تبع دينكم .

(٢) مما نذكره على سبيل الفكاهة : أنى كنت فى مجلس ضم بعض المشايخ وجرى الحديث فيمن سيدخلون الجنة ومن سيحرمونها ! فقلت لهم « ماقولكم فى أديسون مخترع النور ؟ »فقالوا : إنه سيدخل النار ! فقلت لهم : بعد أن أضاء العالم حتى مساجدكم وبيوتكم باختراعه ؟ ! قالوا : ولو ،لأنه لم ينطق بالشهادتين، فقلت لهم : إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ماينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم ، لايمكن — بحسب فهمكم — أن يدخلوا الجنة شرعا — لأنهم لاينطقون بالشهادتين — أفلا يمكن أن يدخلوها بفضل الله ورحمته عقلا ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض ؟ قالوا : ولا هذه !! .

وإن هذه الحال السيئة التي أعرقت فينا على مدى الأجيال، ونال العالم منها ما ناله من الضرر والوبال لتدعو العقلاء والمفكرين وأهل الرأي، إلى أن يتداركوها، وأن يطبوا لها ما استطاعوا. وإن أنجع دواء لهذه العلة المزمنة — ولا ريب — هو أن يعرف أهل الكتب السماوية جميعا، أن دين الله واحد على ألسنة جميع رسله وأن هؤلاء الرسل الكرام، إخوة متحابون لا عداء بينهم ولا خصام، وأن الغرض من رسالتهم واحد، وأن الذي بعثهم جميعا بأصول هذا الدين واحد، وأن هذه الأصول لا تخالف فيها ولا تباين، فإذا عرفوا ذلك تقطعت بينهم أسباب الخلاف، وارتبطت القلوب بأواصر المحبة والائتلاف. ولأني قضيت حياتي كلها في الدعوة إلى اتحاد رجال الأديان كما اتحدت أصول الأديان، وأن ينبذوا ما نشأ من خلاف بينهم يكرهه الله مالك الملك، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا وألا يتفرقوا وأن يعقدوا الخناصر على القيام بنشر ما يدعو إليه الدين الحق من كرائم الآداب، وأمهات الفضائل ويكونوا قدوة حسنة لمن وراءهم من المتدينين وبذلك يسعد الناس جميعا، ويعيشون في مهنأ وصفاء لا حقد بينهم ولا بغضاء.

وقد استخرت الله في أن أنشر هذه الرسالة الموجزة لأبين لإخوتي المخلصين من أهل الأديان أجمعين، أن دين الله على ألسنة رسله — كما قرأناه في كتبهم — واحد، وصادر من إله واحد، أراد به سبحانه وتعالى هداية خلقه على اختلاف أجناسهم وألوانهم، في كل

زمان ومكان ، معتمداً فى ذلك على أقوى الأدلة التى يرضى عنها العلماء المخلصون، من صحيح النقل وصريح العقل .

وقد سلكت فى وضعها الطريق الواضح ، والمحجة البيضاء مبتعداً ما استطعت عن مثارات الخلاف التى لا يهب منها إلا ريح الجدل العقيم الذى لا تفع منه ولا جداء ، وإنما يزيد فى مدى الفرقة والشقاء . وما الذى يعود بالخير علينا إذا ظلت بعض القلوب على ما فيها من بغضاء ولبثت بعض الصدور تحمل ما تحمل من شحناء ، إن فى ذلك ولا ريب لبلاء أى بلاء !

وإننا الآن فى حياتنا الجديدة لنى أشد الحاجة إلى هداة مخلصين من كل ملة ودين ينشرون الألفة ، ويدعون إلى المحبة بين الناس أجمعين.

ومن رأيى أن كل من يعمل على إثارة الخلاف فى البلاد ، وبث روح التفرقة الخبيثة بين الناس ، لا يكون مخلصاً فى إيمانه الدينى ، ولا صادقا فى ولائه الوطنى .

هذا وكل ما أرجوه أن تنال هذه الرسالة من كل من يقرأها من رجال الدين وغيرهم الرضا والقبول ، وأن يجعل الله لها من الأثر ما أتمناه فى النفوس والقلوب والعقول ، حتى يسود بين الناس السلام، ويعم الوفاق والوئام .

هذه سبيلى التى أدعو إلى الله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمود أبو ريه

دين الله واحد

دين الله واحد فى الأولين والآخرين ، لا يختلف إلا فى صوره ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته — وهو ما طولب به العالمون أجمعون على ألسن جميع الأنبياء والمرسلين — فلا يتغير ؛ وهو إيمان بالله الواحد الأحد، وإخلاص له فى العبادة — وأن يتعاون الناس فى معاشهم على البر والتقوى، وألا يتعاونوا على الإثم والعدوان.

هذا هو دين الله الذى أرسل به الرسل فى كل أمة ، ولكل قوم على مدى الدهور والأزمان — وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .

وقد علم من بيان الأديان الثلاثة — اليهودية والمسيحية والإسلام — ، أن أول رسول أرسل إلى الناس بعد آدم هو: نوح عليه السلام ، ولذلك جاءت الآية القرآنية « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (١٣ الشورى) .

وفى حديث نبوى : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة . والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد — وفى رواية (أولاد علات) وفى حديث آخر « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقد فسروا العلات بالضرائر وأصله : أن من تزوج امرأة

ثم تزوج عليها أخرى كأنه عل منها — والعلل الشرب بعد الشرب — وبنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى .

وقال ابن القيم :(١)

وفيه وجه آخر أحسن ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم حين شبه دين الأنبياء الذى اتفقوا عليه — من التوحيد ، وهو عبادة الله وحده ، لا شريك له ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه — بالأب الواحد ، لاشتراك جميعهم فيه وهو الدين الذى شرعه لأنبيائه كلهم ، فقال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا — الآية ».

وقال البخارى فى تفسير ما جاء من (أن دين الأنبياء واحد) : إن دين الله الإسلام الذى أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله ، من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الأب الواحد .

وأما شرائع الأعمال والمأمورات ، فقد تختلف ، فهى بمنزلة الأمهات الشتى — وكون الأم بمنزلة الشريعة — والأب بمنزلة الدين — وأصالة هذا وتذكيره ، وفرعية الأم وتأنيثها — واتحاد الأب ، وتعدد الأم ما يدل على أنه معنى الحديث »

---

(١) ص ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٣ بدائع الفوائد .

وقال ابن كثير فى تفسير : شرع لكم من الدين — الآية :(١)

« الدين الذى جاءت به كل الرسل ، هو عبادة الله وحده ، لا شريك له — كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه ، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » أى القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ، ومناهجهم ، قال تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولهذا قال تعالى هنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،بالائتلاف والاتفاق ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد :

صرح الإسلام تصريحاً لا يحتمل الريبة بأن دين الله فى جميع الأزمان وعلى ألسن جميع الأنبياء واحد (٢) ،قال الله تعالى:

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا » (١٦٣ النساء) .

«ومعنى « أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلخ » أى مثاله فى جنسه وموضوعه، والغرض منه أنهم يصدرون عن نبع واحد» .

---

(١) ص ١٠٩ ج ٤

(٢) ص ١٦٣

وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بنى اسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب .

— ٢ —

إن هذه أمتكم أمة واحدة

جاءت هذه الآية الكريمة : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ الأنبياء)

وتكررت هذه الآية فى سورة المؤمنون (٥٢)

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (١)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم فى قوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول : دينكم دين واحد .

وقال ابن كثير : إن دينكم يامعشر الانبياء واحد ، وملة واحدة . وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له . ولهذا قال « وأنا ربكم فاتقون » (٢)

— ٣ —

أساس دعوة كل رسول

كانت دعوة رسل الله جميعاً مبنية على أصل واحد : أن يبينوا للناس أنه : لا إله إلا هو ، ليؤدوا له ما يجب من العبادة الخالصة التى يستحقها سبحانه ، قال تعالى :

(١) ص ١٩٤ ج ٣ تفسير ابن كثير

(٢) ص ٢٤٧ من نفس المصدر

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢٥ الأنبياء)

وقال : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت(١) » ٣٦ سورة النحل

وقال تعالى عن أول الرسل نوح :

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ » ٢٣ المؤمنون

وقال عن هود :

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ » ٦٠ الأعراف

وقال عن صالح :

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » ٧٣ الأعراف

وقال عن ابراهيم :

« وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ١٦ العنكبوت

---

(١) الطاغوت كما بينه الأستاذ الامام محمد عبده هو كل ما تكون عبادته والايمان به سبباً للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع .

رسالة موسى وعيسى عليهما السلام

أما رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فسنبينهما فيما بعد، ونقفى عليهما ببيان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

— ٤ —

أصول الدين على ألسنة رسل الله أجمعين

بعد أن بينا أن دين الله واحد ، وأن أساس دعوة رسل الله مبنية على أصل واحد، يجب علينا أن نبين أصول هذا الدين الثابتة التى لا تتغير بتغير الأزمان ، وإنما الذى يتغير : الشرائع والمناهج فلكل رسول شرعة ومنهاج ، وهذه الأصول هى :ـ

الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح .

فنى سورة البقرة الآية (٦٢) وهى :ـ

إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين ، من آمن بالله، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية: (١)

«إن الرسل عليهم السلام كانوا متفقين فى الدعوة إلى : الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وإنما كانوا يختلفون فى تفصيل الأعمال الصالحة ، والشرائع المصلحة ، بحسب اختلاف

(١) ص ٢١٦ ج ١.

استعداد أممهم ، وقد طرأت على أتباعهم من بعدهم بدع وثنية وخرافية ، وضاعت أكثر تعاليمهم من الأمم القديمة ، وإنما بقيت بقية صالحة عند المتأخرين من اليهود والنصارى فيها من الشوائب ماأشرنا إليه آنفا — وكذلك بقيت من جميع الأديان القديمة آثار تاريخية تدل على توحيد الله تعالى كما نراه فى تاريخ قدماء المصريين والفرس واليونان ، ووثني الهند واليابان والصين ».

ثم قال رضى الله عنه :

«أحاط القضاء فى الآية السابقة(١) باليهود فلم يدع منهم حاضراً ولا غائبا فألزم الذل باطنهم وكسا بالمسكنة ظاهرهم، وبوأهم منازل غضبه، وجعل أرواحهم مسقط نقمة ، فذلك الله الذى يقول (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله) سجلت الآية عليهم هذا العذاب الشديد بما كسبت أيديهم ، واستشعرت قلوبهم من كفر بآيات الله وانصراف عن العبرة ، واستعصاء على الموعظة ، وخروج عن حدود الشريعة ، واعتداء على أحكامها . اقترف ذلك سلفهم وتبعهم عليه خلفهم فحقت عليهم كلمة ربك . فلو قر الخطاب عندها ولم ينلها من رحمته مابعدها، لحق على كل يهودى على وجه الأرض

---

(١) الآية السابقة :وضربت عليهم (أى على اليهود)الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون — ٦١ البقرة و ص٣٣٢ ومابعدها من الجزء الأول من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده .

أن ييأس ، وأن لا يبقى عنده للأمل فى عفو الله متنفس ، بل كان ذلك القنوط لازما لكل عاص ، قابضاً على نفس كل معتد ، لا فرق بين اليهود وغيرهم .

فإن سبب ما نزل باليهود إنما هو عصيانهم ، واعتداؤهم حدود ما شرع الله لهم ، وسنن الله فى خلقه لا تتغير وأحكامه العادلة فيهم لا تتبدل ، لهذا جاء قوله تعالى (إن الذين آمنوا إلخ بمنزلة الاستثناء من حكم الآية السابقة .

وانما ورد على هذا الأسلوب البديع متضمناً لجميع من تمسك بهدى نبي سابق وانتسب إلى شريعة سماوية ماضية ، ليدل على أن الجزاء السابق ، وأن حكى على أنه من خطأ اليهود خاصة لم يصبهم إلا لجريمة قد تشمل الشعوب عامة ، وهى الفسوق عن أوامر الله ، وانتهاك حرماته فكل من أجرم كما أجرموا سقط عليه من غضب الله ما سقط عليهم ، وعلى أن الله جل شأنه لم يأخذهم بما أخذهم لأمر يختص بهم — على أنهم من شعب اسرائيل — أو من ملة يهود بل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

وأما أنساب الشعوب ، وما تدين به من دين ، وما تتخذه من ملة ، فكل ذلك لا أثر له فى رضا الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم ؛ بل عماد الفلاح ، ووسيلة الفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى : بأن يكون

التصديق به سطوعا على النفس من مشرق البرهان ، أوجيشانا فى القلب من عين الوجدان ، فيكون الاعتقاد بوجوده وصفاته خاليا من شوب التشبيه، والتمثيل ، واليقين فى نسبة الأفعال إليه خالصا من وساوس الوهم والتخيل، ويكون المؤمن قد أرتقى بإيمانه مرتقى يشعر فيه بالجلال الآلهى، فإذا رفع بصره الى الجناب الأرفع أغضى هيبته وأطرق الى أرض العبودية خشوعاً وإذا أطلق نظره فيما بين يديه مما سلطه الله عليه شعر فى نفسه عزة بالله ووجد فيهما قوة تصرفه بالحق فيما يقع تحت قواه لا يعدو حداً ضرب له ؛ ولا يقف دون غاية قدر له أن يصل إليها ، فيكون عبداً لله وحده، سيداً لكل شيء بعده .

وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا) مراد بذلك المسلمون الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين سيتبعونه ، وكانوا يسمون المؤمنين والذين آمنوا ...

وقوله (والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، يراد بهذه الفرق من الناس التى عرفت بهذه الأسماء أو الألقاب ، من الذين اتبعوا الانبياء السابقين ، وأطلق على بعضهم لفظ (يهود والذين هادوا) وعلى على بعضهم لفظ النصارى وعلى بعضهم لفظ (الصابئين).

(من آمن بالله ، واليوم الآخر وعمل صالحا) — هذا بدل عما قبله — أى من آمن منهم بالله إيمانا صحيحا ، وآمن باليوم الآخر كذلك ، وعمل عملا صالحا تصلح به نفسه وشئونه، ومع من يعيش

معه . وما العمل الصالح بمجهول فى عرف هؤلاء الأقوام، وقد بينته كتبهم أتم بيان (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أى أن حكم الله العادل سواء وهو يعاملهم نسبة واحدة لا يحابى فيها فريقا ، ولا يظلم فريقا ، وحكم هذه السنة : أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله لهم على لسان رسولهم ، ولا خوف عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما يستقبلهم ، ولا هم يحزنون على شىء فاتهم وقد تقدم هذا التعبير فى الآية (٣٨) من هذه السورة (البقرة) (١) .

فالآية بيان لسنة الله تعالى فى معاملة الأمم ، تقدمت أو تأخرت . فهو على حد قوله تعالى « ليس بأمانيكم ، ولا أمانى أهل الكتاب : من يعمل سوءاً يجزَ به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » (٢) .

---

(١) الآية (٣٨) نصها « قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فإما يأتينكم منى هدى — من رسول مرشد ، وكتاب مبين (فمن تبع هداى) الذى أشرعه ، وسلك صراطى المستقيم الذى أحدده (فلا خوف عليهم) من وسوسة الشيطان ، ولا مما يعقبها من الشقاء والحسرات (ولا هم يحزنون) على فوت مطلوب ،أو فقد محبوب.

(٢) النقير، النكتة فى ظاهر النواة .

فظهر بذلك أنه لا إشكال فى حمل من آمن بالله واليوم الآخر إلخ على قوله (إن الذين آمنوا) إلخ . . . ولا إشكال فى عدم اشتراط الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم لأن الكلام فى معاملة الله تعالى لكل الفرق ، أو الأمم المؤمنة بنبى ووحى بخصوص الظانة أن فوزها فى الآخرة كائن لامحالة ، مسلمة ، أو يهودية أو نصرانية ، أو صابئية مثلا . فالله يقول : إن الفوز لايكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس وعمل يصلح به حال الناس ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أمانى المسلمين ، أو أمانى أهل الكتاب . وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح .

أخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم عن السدى قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى ، فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ... ديننا قبل دينكم ! وكتابنا قبل كتابكم ... ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم . . . نحن على دين ابراهيم واسماعيل وإسحاق ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فانزل الله تعالى : «ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب — الآية » وروى نحوه عن مسروق وقتادة .

وأخرج البخارى فى التاريخ من حديث أنس مرفوعا « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ! وكذبوا « لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

والحكمة فى عناية الله تعالى بالنعى على المفترين بالانتساب إلى الدين أيّا كان — ظاهرة — (١) فإن هذا الغرور هو الذى صرفهم عن العمل به ، أكتفاء بالانتساب إليه وجعله جنسية فقط !! (٢)

— ٥ —

إن الدين عند الله الإسلام

(أى إسلام الوجه)

قال تعالى فى القرآن الكريم (آية ١٩ و ٢٠ من سورة آل عمران) إن الدين عند الله الإسلام « وقال : فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا ، فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد .

(الدين) فى اللغة الجزاء والطاعة والخضوع — أى سبب

---

(١) أى الحكمة .

(٢) ص ٢١٦ ، ٢٣٣ — ٢٣٧ من تفسير القرآن الحكيم ج ١ .

الجزاء ، ويطلق على مجموع التكاليف التى يدين بها العباد لله ،فيكون بمعنى : الملة والشرع ، (والإسلام) مصدر أسلم وهو يأتى بمعنى (خضع واستسلم) وبمعنى أدى. يقال . أسلمت الشىء إلى فلان — إذا أديته إليه ، وبمعنى دخل فى السلم بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحريك الخالص من الشىء ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلماً لرجل» .

وتسمية دين الحق إسلاماً — يناسب كل معنى من معانى الكلمة فى اللغة .

قال تعالى : «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن»

وقد علم بذلك أن الحصر فى قوله (إن الدين عند الله الإسلام) يتناول جميع الملل التى جاء بها الأنبياء ، لأنه روحها الكلى الذى أتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الإعمال فيها .

وقد أخبر القرآن فى غير موضع أن الأنبياء كلهم ، كان دينهم الإسلام .

فقال نوح عليه السلام (١٠ — ٧٢) « فإن توليتم فما سألتكم من أجر ،إن أجرى إلا على الله، وأمرت أن أكون من المسلمين».

وقال عن إبراهيم عليه السلام (٢ : ١٣٠ — ١٣٢) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا

وإنه فى الآخرة لمن الصالحين.إذ قال له ربه : أسلم — قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى : إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون »وقال يوسف عليه السلام (١٢ — ١٠١) «فاطر السموات والأرض ، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين».

وقالت ملكة سبأ (٢٧ — ٤٤) «رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين».

وقال موسى عليه السلام (١٠ — ٨٤) «ياقوم: إن كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين».

وقال سحرة فرعون (٧ — ١٢٥) «وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا ، وتوفنا مسلمين».

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام (٣ : ٥٢ ، ٥٣) «فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

— ٦ —

إسلام من فى السموات والأرض

وقال تعالى (٣ — ٨٣) «أفغير دين الله يبغون؟ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

المعنى : — أيتولون عن الإيمان بعد هذا البيان — وهو أن دينه واحد ، وأن رسله متفقون فيه ،فيبتغون غير دين الله الذى هو الإسلام (وله أسلم من فى السموات والأرض) أى والحال أن جميع من فى السموات والأرض من العقلاء قد خضعوا له تعالى ، وانقادوا لأمره طائعين وكارهين — وقد أختلفوا فى بيان إسلام الطوع والكره — فذهب بعضهم إلى أن الإسلام هنامتعلق بالتكوين والإيجاد والإعدام ، وبالتكليف — أى أنه تعالى : هو المتصرف فيهم وهم الخاضعون المنقادون لتصرفه — قال الرازى : إن هذا هو الأصح عنده وهو كما قال تعالى : وإن من شىء إلا يسبح بحمده (١٧ : ٤٤) .

— ٧ —

ملة إبراهيم

قال تعالى فى القرآن الكريم (٢ : ١٣٠ — ١٣٣) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ،ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب : يابنى إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء : إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، إلها واحدا ،ونحن له مسلمون» .

قال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآيات (١) :

خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية فى العبادة ، وإسلام القلب له تعالى ، والإخلاص له — وتكرار لفظ (الإسلام) فى هذه الآيات يراد به تقرير (حقيقة الدين) ذلك أن العرب كانت تدعى أن لها ديناً خاصاً بها ، وأنه الحق ، وإن اختلفت فيه القبائل والشعوب ، ومنهم من كان ينتمى إلى إبراهيم على وثنيتهم ، وكذلك اليهود والنصارى ، كل يدعى ديناً خاصاً به وأنه الحق ، فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب للتقاليد ، وأن دين الله تعالى واحد فى حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى ، والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء — وبهذا كان يوصى أولئك النبيون أبناءهم وأعمهم — فبين أن دين الله تعالى واحد ، دين كل أمة ، وعلى لسان كل نبى . ولذلك قال فى آية أخرى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً — والذى أوحينا إليك — وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

— ٨ —

التفرق فى الدين جاء من الجهل والتعصب

فالتفرق فى الدين ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء ، والمحافظة على الحظوظ والمنافع المتبادلة بين المرءوسين والرؤساء ،

---

(١) ص ٤٧٧ ج ١ تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده المعروف بتفسير القرآن الحكيم .

فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق فى الدين، والاجتماع على أصليه :
(العقلى) وهو التوحيد ، والبراءة من الشرك بأنواعه .
و (القلبى) وهو الإسلام ، والإخلاص لله فى جميع الأعمال.

— ٩ —

الإسلام فى كلام إبراهيم وبنيـــه

وعلم من هـذا : أن لفظ الإسلام والمسلمين فى كلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ، يراد به معناه الذى تقدم . فمن لم يكن متحققاً بهذا المعنى ، فليس بمسلم ، أى ليس على دين الله القيم — الذى كان عليه جميع أنبياء الله .

— ١٠ —

الإسلام فى عرفنا اليوم

وأما لفظ الإسلام فى عرفنا اليوم، فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى . ولا يشترط فى إطلاق هذا (اللقب العرفى) عند أهله ، أن يكون المسلم خاضعاً مستسلماً لدين الله مخلصاً له أعمـاله ، بل يطلقونه أيضاً على من ابتدع فيـه ماليس منه ، أو ماينافيه ، ومن فسق عنه ، واتخذ إلهاً من هواه إلخ(١)

---

(١) ص ٤٧٨ من نفس المصدر

تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولـكم ما كسبتم :

وقال الأستاذ الإمام محمد عبـده فى تفسير الآية (١٣٤) من سورة البقرة مانصه :

« تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولـكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون » . جاءت هذه الآية الـكريمة بعد كلام عن وصية إبراهيم لبنيه وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، لبنيهم — استدراكا على ماعساه يقع فى أذهان ذرارى هؤلاء الأنبياء الـكرام — عليهم الصلاة والسـلام — من أن هـذا السلف الذى له عند الله هـذه المـكانة يشفـع لهم، فينجون ويسعدون يوم القيـامة بمجرد الانتساب إليهم، فبين الله فى هذه الآية : أن سنته فى عباده أن لا يجزى أحداً إلا بكسبه وعمله، ولا يسأل إلا عن كسبه وعمله .

وقد بين فى سورة النجم — أن هذه القضية من أصول الدين العامة التى جاء بها الأنبياء من قبل « أم لم ينبأ بمـا فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفّـى، أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » إلخ .

ويين فى آيات متعددة، فى سور متفرقة، أن المرسلين لم يرسلوا إلا مبشرين ومنذرين، فمن آمن بهم، وعمل بما يرشدون إليه، كان ناجياً، وإن بعـد عنهم فى النسب، ومن أعرض عن هـديهم كان

هالـكا وإن أدلى إليهم بأقرب سبب . » قال: «يا نوح إنه ليس من أهلك (أى ابنه) إنه عمل غير صالح» .

وإذا لم تنتفع بهم ذرياتهم الذين لم يقتدوا بهم ، فكيف ينتفع بهم أولئك البعداء الذين ليس بينهم وبينهم صلة ، إلا الأقوال الـكاذبة التي يعبر عنها فى هذا العصر (بالمحسوبية) ويقولون فى مخاطبة أصحاب القبور عند الاستغاثة بهم (المحسوب كالمنسوب) .

وما أحسن قول الإمام الغزالى :

«إذا كان الجائع —يشبع إذا أكل والده دونه، والظمآن يروى بشرب والده ، وإن لم يشرب ، فالعاصى ينجو بصلاح والده» .

والآيات التى تؤيد هذه الآية كثيرة جدا ، فهى أصل من أصول الدين الإلهى لا يفيد معها تأويل المغرورين ، ولا غرور الجاهلين .

— ١١ —

دين الله فى الـكتب التى سبقت القرآن

ما فى العهد القديم

عرضنا عليك ماجاء فى القرآن الـكريم من أن دين الله واحد، ودعوة كل رسول فى ذلك ، وآن لنا أن نؤيد ما جاء فى القرآن من الـكتب التى سبقته ليـكون ذلك أدعى إلى الثقة ، وأدنى إلى اليقين .

إن من يطلع على العهد القديم ، يجد أن كتبه وأسفاره تنطق كلها بأن الله واحد أزلى قادر على كل شيء ، يفعل مايشاء ويختار ، وإذا كان فيه استعارات ومجازات تبدو فى ظاهرها غامضة ، فإن الأفهام الدقيقة تنفذ إليها ، وتقف على أسرارها .

* * *

مما لا خلاف فيه أن رسل الله الذين أرسلهم لهداية الناس لايمكن حصرهم ، ولا معرفة أسمائهم ، لأن الله تعالى يقول: « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

وإذا كان ذلك من أدلة النقل ، فإنه ولاريب مما يؤيده العقل ، وإنا نذكر هنا أشهر الرسل التى جاءت أنباؤهم فى العهد العتيق وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام . (١)

— ١٢ —

إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام

ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، بأنى الإله القادر على كل شيء .

سفر الخروج ٦ : ٢ و ٣

---

(١) قال تعالى : قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وقال: وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . والحديث « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين ، وإنما أنا رسول من المرسلين » .

— ١٣ —

الوصايا العشر لموسى عليه السلام

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا: أنا الرب إلهك الذى أخرجك ن أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق، وما الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء الأبناء، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ، واصنع إحساناً إلى ألوف من محبىّ وحافظى وصاياى. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا — اذكر يوم السبت لتقدسه — ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما، أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح فى السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك(١) — سفر الخروج ٢٠ : ١ — ١٧

---

(١) هذه الوصايا جاءت بنصها فى الإصحاح الخامس من سفر التثنية =

وفى الإصحاح ٢٣ : ٢٥ و ٢٦ من سفر الخروج :

لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ، ولا تعمل كأعمالهم ، بل تبيدهم . وتكسر أصنامهم ، وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك وماءك ، وأزيل المرض من بينكم .

— ١٤ —

من سفر التثنية

إنك قد أريت لتعلم : أن الرب هو الإله ، وليس آخر سواه. فاعلم اليوم وردد فى قلبك ، أن الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل ليس سواه — الإصحاح ٤ : ٣٥ و ٣٩.

وفى الإصحاح السادس : ٤ — ٧ و ١٣ — ١٥ و ١٨ :

اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التى أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك — الرب إلهك تتقى ، وإياه تعبد ، وباسمه تحلف — ولا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور فى

=(أو الاستثناء) وختمها هناك بهذه العبارة « هذه الكلمات تكلم بها الرب إلى كل جماعتكم فى الجبل وسط النار والسحاب والضباب ، وصوت عظيم ، ولم يزد، وكتبها على لوحين من حجر وأعطانى إياها. وبدأها بما يلى : ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : إسمع يا اسرائيل ، الفرائض والأحكام: الرب إلهنا قطع معنا عهدا فى حوريب فقال :٦/٥ — /٢

وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض ـ إعمل الصالح الحسن فى عينى الرب لكى يكون لك خير .

وفى الإصحاح العاشر : ١٢و١٣و١٧و٢٠ :

فالآن يا سرائيل : ما ذا يطلب منك الرب إلهك ؟ إلا أن تتقى الرب إلهك ، لتسلك فى كل طرقه وتحبه ، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه : إن الرب إلهكم هو إله الآلهة ، ورب الأرباب الإله الجبار المهيب : الرب إلهك تتقى ـ إياه تعبد، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف .

— ١٥ —

من سفر أشعيـــاء

الإصحاح الأربعون : ٢٨

أما عرفت ؟ أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب ، خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص

وفى الإصحاح ٤٤ : ٦ و ٢١

هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ، رب الجنود ، أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا إله غيرى ـ اذكر هذه يايعقوب ، يا إسرائيل فإنك أنت عبدى ، قد جبلتك عبداً لى أنت .

وفى الإصحاح ٤٥ : ٣ و ٥ و ٦ و ٧

وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء ، لكى تعرف أنى أنا

الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل - أنا الرب وليس آخر، لا إله سواى نطقتك وأنت لم تعرفنى، لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس آخر، مصور النور ، وخالق الظلمة ، صانع السلام.

وفى الإصحاح ٤٦ :٩ اذكروا الأوليات منذ القديم ، لأنى أنا الله وليس آخر، الإله وليس مثلى.

— ١٦ —

الديانة الحقيقية

ميخا ٦ : ٨

قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب —إلا أن تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعا مع إلهك .

— ١٧ —

من ترنيمة لداود

مزمور ١٠٣ — ١ — ٦و١٩

باركى يانفسى الرب ، وكل ما فى باطنى ، ليبارك إسمه القدوس، باركى يانفسى الرب ولا تنسى كل حسناته ، الذى يغفر جميع ذنوبك ، الذى يشفى كل أمراضك، الذى يفدى من الحفرة حياتك ، الذى يكللك بالرحمة والرأفة ، الذى يشبع بالخير عمرك ، فيتجدد مثل النسر شبابك .

الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين ، عرف موسى

طرقه و بنى اسرائيل أفعاله . الرب رحيم ورءوف طويل الروح وكثير الرحمة، الرب فى السموات ثبت كرسيه، وبملكته على الكل تسود.

— ١٨ —

من سفر أرميـــا

١٠ — ١٠ و١٢

أما الرب الإله فحق، هو إله حى، وملك أبدى . صانع الأرض بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته .

— ١٩ —

رسالة عيسى عليه الســـلام

جاء عيسى عليه السلام يمشى على طريق إخوانه من الرسل الكرام ، يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، وليكمل ما نقص من الديانة التى جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام ، كما هى سنة الرسل أجمعين، اللاحق يكمل شريعة السابق .

وكان الكتبة(١) والفريسيون(٢) أو غيرهم قد ظنوا أنه سينقض الناموس الذى أتى به موسى، فلم ير بدآ من أن يجهر بقوله عليه السلام:

---

(١) الكاتب هو المفسر والمعلم للشريعـــة الموسوية والقانون التقليدى والجمع كتبة .

(٢) الفريسيون مدرسة دينية بين اليهود تتميز بمحافظتها محافظة دقيقة على مبادىء القانون والدين، وهذا اللفظ أصبح يطلق على أى شخص يراعى الصور السطحية للدين ولا ينفذ إلى الروح .

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ،أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل. متى - إصحاح ١٧/٥ و١٨

وفى رواية أخرى :

« لا تظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء ، إنى لم آت لأحل ، لكن لأتمم ، الحق أقول لكم : إنه إلى أن تزول السماء والأرض،لاتزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل».

— ٢٠ —

الناموس الذى جاء عيسى عليه السلام ليكمله

أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل :

أنا إله إبراهيم، و إله إسحاق و إله يعقوب - فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين(١) اجتمعوا معاً وسأله واحد منهم ، وهو ناموسى ليجربه قائلا : يامعلم . أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية

(١) الصدوقيون — حزب أو مدرسة عند اليهود من المتشككين — وكانت لهم تقاليد أرستقراطية فى أوائل العهد المسيحى .

الأولى والعظمى ، والثانية مثلها — تحب قريبك كنفسك — بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء .

متى : ٢٢ — ٣١ — ٤٠

— ٢١ —

الناموس كما جاء فى إنجيل مرقص

وقد جاء ذكر الناموس فى إنجيل مرقص بأوضح من ذلك — وهذا نص ما ورد فيه :

أفما قرأتم فى كتاب موسى كيف كلمه الله قائلا : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، ليس هو إله أموات ، بل إله أحياء ، فأنتم إذاً تضلون كثيراً .

فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً ، سأله أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك .

هذه هى الوصية الأولى :

وثانية مثلها :

هى : تحب قريبك كنفسك .

ليس وصية أخرى أعظم من هاتين .

فقال له الكاتب: جيداً (١) يا معلم بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ، ومن كل القدرة ، وحب القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح .

فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل ، قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله . إنجيل مرقص : ١٢/٢٦/٣٤

« أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »

تكلم يسوع ورفع عينيه نحو السماء وقال : أيها الآب قد أتت الساعة ، مجد إبنك ليمجدك إبنك (٢) أيضاً ، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته — وهذه هى الحياة الأبدية — أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته . يوحنا ١٧ — ١ — ٣

— ٢٢ —

أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم

قال يسوع لمريم المجدلية : لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى

---

(١) فى نسخة : حسن يامعلم بالحق قلت

(٢) قلنا من قبل إن الكتاب المقدس ذو استعارات بعيدة الغور لا يفهمها إلا معاصروه أو الذين أوتوا فهما ثاقباً . راجع ما قاله السيد جمال الدين الأفغانى فى بيان مغزى أقوال السيد المسيح — فيما بعد .

ولكن اذهبي - وفى نسخة ، بل إمضى - إلى إخوتى وقولى لهم : إنى صاعد إلى أبى وأبيكم : وإلهى وإلهكم .

يوحنا ٢٠ — ١٧

مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد

...ثم أخذه (١) أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينذاك قال له يسوع : اذهب ياشيطان فإنه مكتوب : للرب إلهك تسجد . وإياه وحده تعبد .

متى : ٤ — ٨ و ٩ و ١٠

ما قاله السيد المسيح عليه السلام عند ما قدم للصلب (١)

ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى — أى إلهى ، إلهى — لماذا تركتنى ؟ . وفى نسخه لماذا شبقتنى ؟ وهى بمعنى تركتنى .

متى : ٢٧ — ٤٦

وفى إنجيل لوقا ٢٣ — ٤٦ :

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ، ولما قال هذا ، أسلم الروح .

---

(١) لما أخرج يسوع إلى البرية ليجرب من إبليس ، أخذه إبليس الى جبل عال وقال له ما قال

(٢) نقلنا ذلك عن مصدره بنصه كما وجدناه .

الصالح واحد ـ وهو الله وحده

تقدم للسيد المسيح واحد وقال له : أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله .

متى ١٩ — ١٦

وفى إنجيل لوقا : إنه لا صالح إلا الله وحده .

١٩ : ١٨

— ٢٣ —

إقتداء النبى محمد بمن قبله

قبل أن نتكلم عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، يجب أن نبين موقفه من إخوانه الذين سبقوه برسالات الله إلى الناس ، حتى نربط القول بعضه ببعض فنقول : إنه ما دامت إرادة الله قد قضت بأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالته إلى الناس ، وأن يحمل هذا العبء الثقيل ، الذى حمله أولو العزم من الرسل من قبل ، فإن مما أوجبه الله عليه أن يعرف من تقدموه إلى حمل الرسالات الدينية ، ويقف على سيرتهم مع أقوامهم ، وما نالوه من أذى فى سبيل دعوتهم ، وأن يقتدى بهم ، ويكون له أسوة فيهم ، وبذلك يتبين له منار الطريق الذى سيسلكه ، ويكون على بصيرة منه فى أداء رسالته ، وعلى هذا الهدى يبلغ الغاية التى بلغها إخوانه من المرسلين ، وإذا لم يفعل ذلك لايكون قد استكمل وسائل الدعوة ، ولا استوفى ما يلزم لها .

أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده

قال تعالى فى سورة الأنعام (٨٣ — ٩٠) .

«وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ، وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا

ويحيي وعيسى وإلياس، كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس، ولوطا، وكلا فضلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم، وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم - ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم، والنبوة، فإن يكفر بها هؤلاء، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، قل لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكرى للعالمين ».

قال جار الله الزمخشري(١) فبهداهم اقتده - فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم - وهذا معنى تقديم المفعول - والمراد بهم طريقتهم فى الإيمان بالله وتوحيده، وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة، وهى هدى ما لم تنسخ. فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا و(الهاء)، فى اقتده للوقف، فتسقط فى الدرج، واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف.

وقال ابن كثير فى تفسيره (٢):

فبهداهم اقتده - أى اقتد واتبع - وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به.

---

(١) ص ٢٦ ج ٢ من التفسير.

(٢) ص ١٥٥، ١٥٦ ج ٢.

وقال ابن عباس[١] : نبيكم أمر أن يقتدى بهم.

وقال ابن حجر العسقلانى[٢]: وأجابوا عن الآية ـ بأن المراد اتباعهم فيما أنزل عليه وفاقه ، ولو على طريق الإجمال فيتبعهم فى التفصيل ، وهذا هو الأصح عن كثير من الشافعية ، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه .

وقد استدل بهذا على أن شرع ما قبلنا شرع لنا وهذه مسألة مشهورة فى علم الأصول .

كتب الرسل فيها هدى ونور

بعد أن أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهدى من قبله من الرسل ، بين له أن الكتب التى أوحى بها إلى هؤلاء الرسل وبخاصة التوراة والإنجيل فيها ـ هدى ونور .

فى التوراة والإنجيل هدى للناس

قال تعالى فى سورة آل عمران : ٣ و ٤ .

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل ، هدى للناس ، وأنزل الفرقان» .

---

(١) ابن عم النبى .

(٢) ص ٢٣٨ جـ ٨ فتح البارى .

التوراة فيها هدى ونور

وقال فى سورة المائدة : ٤٤(١)

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا » .

الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين

وفى سورة المائدة : ٤٦ و٤٧

« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه ـ من التوراة ـ وآتيناه الإنجيل فيه هدى و نور، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

جاء عيسى عليه السلام بالبينات والحكمة

وفى سورة الزخرف: ٦٣ و٦٤ .

ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين

---

(١) سورة المائدة هى آخر سورة نزلت ونظمت فيها معاملة المسلمين مع أهل الكتاب ــ أنظر ما قاله ابن تيمية فى ص ٧٩ .

لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون — إن اللههو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » .

القرآن مصدق بالتوراة والإنجيل

نزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم بأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوارة — والإنجيل ، وهكذا يجب أن تكون كل كتب الله مصدقا بعضها لبعض ، مادامت من مصدر واحد. ففى أول سورة آل عمران قال تعالى :

« الله لا إله إلاهو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس — وأنزل الفرقان » .

والفرقان هو العقل الذى تكون به التفرقة بين الحق والباطل

وقال فى سورة فاطر : ٣١

« والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ، إن الله بعباده لخبير بصير ، وفى سورة الانعام : ٩٢

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذى بين يديه» .

— ٢٤ —

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

كانت العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم برسالته العامة قد تخلفت فى جاهليتها إلى ساقة الأمم ضلالا وجهلا، لا يفقهون من أمر الحياة شيئاً، ولا يحسنون من العمل إلا الحروب والغارات، واعتداء كل قبيلة على ماجاورها لسلب أموالها وسبي نسائها — وكانت لهم عادات ذميمة، وفعال منكرة، حتى بلغ من أمر بعضهم أنهم كانوا يئدون خشية العار بناتهم.

وقد انحدروا إلى أحط درك من الجهالة الدينية، فكانوا يعبدون الأصنام ويقدمون لها الذبائح والقرابين — وعلى أنهم قد اتخذوا حول (الكعبة) التى يطوفون بها فى حجهم مئات الأصنام، فإن كل واحد منهم قد اتخذ لنفسه صنما خاصا وضعه فى بيته ليطوف حوله قبل أن يخرج منه ليضرب فى الأرض ببركته.

فأراد الله أن يبدل حياتهم ويخرجهم مما هم فيه إلى حياة كريمة تتفق وكرامة الإنسان، فبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وفى ذلك يقول الله فى سورة الجمعة:

«هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين»

ولم يقل للناس عندما ظهر بدعوته، إن رسالته جديدة فى أصلها،

بل صرح فى آيات كثيرة أنه قد سبقه رجال غيره اصطفاهم الله لمثلها ، ولم يدع أن الدين الذى بعث به ، هو دين خاص له ، لم ينزل على أحد قبـله ، بل قرر أنه دين الله الذى بعث به سائر الرسل لهداية الناس ، ولذلك أمر أن يجهر بهذه الآية الكريمة :

« قل ما كنت بدعا من الرسل — وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ — وما أنا إلا نذير مبين

سورة الأحقاف : ٩

ثم نطق القرآن بهذه الآية الكريمة من سورة النساء : ١٦٣

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا .

الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب ، وما أرسل من رسل

أوجب الله على محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن هو وأمته بجميع الرسل الذين سبقوه ، بالكتب التى أوحاها الله إليهم .

ففى الآية ٢٨٥ من سورة البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

والآيات ١٣٦ — ١٣٨ من هذه السورة نصها :

«قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط (١) وما أوتى موسى وعيسى ، وماأوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوافإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون» . وقد تكررت هذه الآية فى سورة آل عمران : ٨٤ بهذا النص :

«قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» وقد جاء فى تفسيرها(٢)

أى لا تكن دعوتكم إلى شىء خاص بكم ، يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية بل انظروا إلى جهة الجمع والاتفاق وادعوا إلى (أصل الدين وروحه الذى لا خلاف فيه ولا نزاع) وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين مع الإسلام لرب العالمين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسله (وصبغة الله) هى ما صبغ به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة ، فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ، ولا لآراء الرؤساء ، وأهواء الزعماء وإنما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع ،

---

(١) الأسباط ، أولاد يعقوب (٢) أى الآية ١٣٦ من سورة البقرة

ولا أحسن من صبغتــه تعالى فهى جماع الخـير الذى يؤلف بين الشعوب والقبائل ، ويزكى النفوس ويطهر العقول والقلوب .

والآية تشير كذلك إلى أنه لا حاجة فى الإسلام إلى تمييز المسلم من غيره بأعمال صناعية ، كالمعمودية عند النصارى مثلا ، وإنما المدار فيه على ما صبغ الله به الفطرة السـليمة ، من الإخـلاص وحب الخير والإعتدال والقصد فى الأمور .

وهذه الصـبغة هى التى جاءت فى الآية ٣٠ من سـورة الروم وهى :

«فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لا يعلمون»

وجاءت الآية ١٣٩ من سورة البقرة بهذا الأمر :

«قل أتحاجوننا فى الله ، وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنـا ولـكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون» . والآية ١٤١ من السورة تقول :

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون»

وجاءت الآية ١٣٦ من سورة النساء بهذا النداء :

«ياأيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله، والـكتاب الذى نزل على رسـوله ، والـكتاب الذى أنزل من قبل، ومن يـكفر بالله وملائـكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ».

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب

جاء أمر الله صريحاً بالدعوة التي يوجهها محمد صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب وذلك في الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران ونصها :

«قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (١) بيننا وبينكم: أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله — فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

ذلك بأن الدين الحق مبني على قاعدتين : أن لايعبد إلاالله،ولا يعبد إلا بماأمر .

ولما كانت هذه الآية الكريمة أساس الدين المتين ، فستتوسع في ، إيراد ماجاء في تفسيرها بأقلام كبار أئمة المسلمين :

قال جار الله الزمخشري في تفسير هذه الآية :

(سواء بيننا وبينكم)، مستوية بينناوبينكم ،لايختلف فيها القرآن والتوراةوالإنجيل، وتفسيرالكلمة-قوله(أن لانعبدإلاالله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فلانطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى شرع الله كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.)

وعن عدي بن حاتم:ماكنا نعبدهم يارسول الله !قال :أليس كانوا

(١) السواء العدل ، قال زهير بن أبي سلمى :

فإن تدعوا السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء

يحلون لكم ويحرمون ، فتأخذون بقولهم ؟ قال : نعم، قال : هو ذاك .

وقرأ الحسن : سواء ـ بالنصب ـ بمعنى استوت أستواءا .

وقال ابن كثير في تفسيرها :

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم . إلى (كلمة) الكلمة تطلق على الجملة المفيدة ـ كما قالها ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها . ثم فسرها بقوله وأورد الآية :

وقال ابن حجر العسقلاني في تفسير هذه الآية :

قال أبو عبيدة : في قوله (إلى كلمة سواء) ـ أي عدل ، وكذا أخرجه الطبري وغيره ، ونسبها الفراء إلى قراءة ابن مسعود، والمراد بالكلمة (لا إله إلا الله) وعلى ذلك يدل سياق الآية الذي تضمنه قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فإن جميع ذلك داخل تحت كلمة الحق ـ والكلمة على هذا بمعنى الكلام ، وذلك سائغ في اللغة فيطلق الكلمة على الكلمات ـ لأن بعضها ارتبط ببعض، فصارت في قوة الكلمة الواحدة بخلاف اصطلاح النحاة في تفريقهم بين الكلام والكلمة (١) .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير هذه الآية (٢) :

دعاهم إلى أصل الدين وروحه الذي اتفقت عليه دعوة الأنبياء

---

(١) يقول النحويون : إن الكلمة هي اللفظ المفرد الدال على المعنى ، والمركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها يسمى كلاما . وجملة قال ابن مالك: وكلمة بها كلام قد يؤم (٢) ص ٣٢٥ وما بعدها ج ٣ تفسير المنار

وهو سواء بين الفريقين ـ أى عدل ووسط ـ لا يرجح فيه طرف على آخر. وقد فسره بقوله : « أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » . والمراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء .

والمعنى : أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد ، والتصرف فيه لإله واحد هو خالقه ومدبره ، وهو الذى يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه ، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ، ورفض الشبهات التى تعرض لها ـ وكان اليهود موحدين ولكن كان عندهم شىء هو منبع شقائهم فى كل حين ، وهو إتباع رؤساء الدين فيما يقررونه، وجعله بمنزلة الأحكام المنزلة من الله تعالى(١). وجرى النصارى على ذلك وزادوا مسألة غفران الخطايا ـ وهى مسألة تفاقم أمرها فى بعض الأزمان حين ابتلعت بها الكنائس أكثر أملاك الناس ، ومن الغلو فيها ولدت مسألة البروتستانت إذ قاموا فقالوا : هلم بنا نترك هؤلاء الأرباب من دون الله ، ونأخذ الدين من كتابه لا نشرك معه فى ذلك قول أحد .

---

(١) فى حديث عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وسمعته يقرأ فى سورة براءة : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فقلت : يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم ، فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت : بلى — راجع صفحة ٦٠ .

والآية حجة على أنه لايجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد مالم يسنده إلى المعصوم (١) ، أى فى مسائل الدين البحت . أما المسائل الدنيوية كالقضاء والسياسة فهى مفوضة بأمر الله الى أولى الأمر .

هذه الآية أساس الدين المتين

إن هذه الآية أساس الدين المتين، وأصله الأصيل، ولذلك كان النبي يدعو بها جميع أهل الكتاب إلى الإسلام ، كما ثبت فى كتبه إلى هرقل والمقوقس وغيرهما وهذا نص كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عاهل الروم ، كما فى رواية البخارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . فإنى أدعوك بدعاية الاسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم البريسيين و(ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً — الآية إلى آخرها فلولا أن هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة إلى الإسلام .

فهل يعذر من يؤمن بها إذا هو أدخل فيها — باجتهاده — ماليس

---

(١) الكلام هنا للسلمين ، والمعصوم يقصد به النبي وكذلك الأمر فى اليهود والنصارى فإنه لا يجوز لأحد منهم أن يأخذ بقول أحد ما لم يسنده إسنادا صحيحا إلى موسى وعيسى عليهما السلام .

منها فاتخذ له أندادا ، يدعوهم لكشف الضر وجلب النفع ، زاعما أنهم وسائط يقربونه إلى الله زلفى ، ويشفعون له عنده فى مصالح الدنيا، وهذا عين الإشراك فى الألوهية بالاجتهاد الباطل ، والقياس الفاسد الذى يشبّه الخبير العليم ، الرحمن الرحيم، بالملوك الجاهلين، والأمراء المستبدين ! ولا اجتهاد فى العقائد ولا قياس فى أصل الإيمان .

أم هل يعذر من يؤمن بها — أى بهذه الآية الكريمة — إذا هو اتخذ لنفسه أربابا سماهم العلماء الراسخين ، أو الأئمة المجتهدين فجعل كلامهم حجة فى الدين ، وشرعا متبعا فى التحليل والتحريم ؟! وذلك هو عين الإشراك فى الربوبية ، والخروج عن هداية الآية القرآنية المؤيدة بمثل قوله تعالى (٤٢ : ٢١ - أم لهم شركاء شرعوا لهم فى الدين ما لم يأذن به الله ؟) وقوله (١٦ : ١١٦- ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ، هذا حلال وهذا حرام) .

فالله تعالى قد حد الحدود(١)، وبين الحلال والحرام، وسكت عن أشياء رحمة بنا غير نسيان منه عز وجل ، ونهانا نبيه أن نبحث عما سكت عنه ، وأن نزيد فى الدين برأينا واجتهادنا ، وإنما أباح لنا

---

(١) فى حديث صحيح : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء (وفى رواية ونهى عن أشياء) فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء (وفى رواية وعفى عن أشياء) رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها — وفى رواية (فلا تبحثوا عنها).

الاجتهاد لاستنباط ماتقوم به مصالحنا فى الدنيا — فهذا هو هدى الآية ،ومايعقلها إلا العالمون .

(الله ربنا وربكم — لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

مما أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يستعلن به لأهل الكتاب وغيرهم ، ويكون من دعوته العامة — هذه الآية الكريمة من سورة الشورى : ١٥ ونصها :

« فلذلك فادع واستقم كما أمرت ،ولا تتبع أهواءهم،وقل: آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

قال ابن كثير (١) اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التى قبلها ولها حكم برأسها ، قالوا : لانظير لها سوى آية الكرسى فإنها أيضا عشرة فصول كهذه .

وقوله (فلذلك فادع) أى فللذى أوحينا إليك من الدين — الذى أوحينا به إلى جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم ، فادع الناس إليه .

---

(١) ص ١٠٩ ج ٤ .

(واستقم كما أمرت) أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل.

(ولا تتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما اختلقوه وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان وقل : (آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

(وأمرت لأعدل بينكم) أى فى الحكم كما أمرنى الله .

(الله ربنا وربكم) أى هو المعبود لا آله غيره ، فنحن نقر بذلك اختياراً - وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً - فله يسجد من فى العالمين طوعا وإجباراً ، وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى نحن براء منكم - كما قال سبحانه وتعالى (وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل (وأنا برىء مما تعملون) (لا حجة بيننا) . قال مجاهد ، لا خصومة ، وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ، ثم يفتح بيننا (أى يحكم بيننا) بالحق وهو الفتاح العليم .

(وإليه المصير) أى المرجع والمآب .

(الله هو الذى يحكم بين الناس جميعاً)

وكما جعل الله دينه واحداً ، وجعل المدار فيه على الإيمان بالله ،

والعمل الصالح ،والإيمان باليوم الآخر ، وأنه ليس بأمانى أحد من أهل الأديان جميعاً فمن يعمل سوءاً يجز به ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فإنه سبحانه قد جعل الفصل بين عباده من حقه وحده سبحانه يوم القيامة ،لأنه هو الشهيد الخبير بأعمال الناس . وموازين الحساب وتقدير الأعمال ليست فى الأرض ، وإنما هى فى السماء : قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (الآية ٤٧ من سورة الأنبياء) .

ولذلك قال تعالى فى الآية ١٧ من سورة الحج :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ـ والذين أشركوا ـ إن الله يفصل بينهم يوم القيامة . إن الله على كل شىء شهيد » .

وقال تعالى فى سورة الدخان : ٤٠

إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين .

(مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن)

لكى يجتمع الناس جميعاً على وئام ، ويعيش المسلمون مع أهل الكتاب فى سلام ، كما تدعو بذلك أصول الأديان ، ويقتضيه

(١) انظر هنا فى يوم الفصل فقد جعل الله المشركين غير أهل الكتاب

نظام الاجتماع وسنن العمران ، أمر الله المسلمين أن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن وذلك في سورة العنكبوت : ٤٦ « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون ».

بر أهل الكتاب والإقساط إليهم

وأمرنا الله سبحانه أن نبر أهل الكتاب ونقسط إليهم فقال في الآية الثامنة من سورة الممتحنة : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ؛ إن الله يحب المقسطين ».

أما الذين يقاتلوننا ويخرجوننا من ديارنا ويسيئون إلينا ويظاهرون علينا ،كالصهيونيين الملاعين،وجميع من يؤيدونهم من أي جنس من اليهود البغاة الفاسقين ، فهؤلاء لا يستحقون منا براً ولا إقساطاً وإنما جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا،حتى تتطهر الأرض منهم،لأنهم رجس من عمل الشيطان،وملعونون في كل زمان.وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، يبرأون منهم ومن أعمالهم الإجرامية في أي مكان .

دعوته العامة

بينا آنفاً دعوة كل رسول إلى التوحيد من نوح إلى عيسى عليهم

السلام ، وآن لنا أن نأتى بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم لمشركى العرب ، بعد أن بينا دعوته لأهل الكتاب التى جاءت فى الآية : « قل يا أهل الكتاب إلخ » .

ولأن الشرك كان فى العرب متفشياً حتى لقد كان لكل قبيلة بل فى كل بيت ـ كما قلنا ـ صنم يعبد فقد كرر الله الدعوة فى ذلك وشدد تشديداً عظيما حتى لا نكاد نجد سورة من سور القرآن إلا وفيها آية أو آيات كثيرة تدعو إلى التوحيد الخالص. وإنا نكتفى هنا بإيراد طرف منها ، لأننا إذا نقلنا كل آيات التوحيد التى فى القرآن فإنا نحتاج إلى أن نكرس لذلك كتاباً كبيراً ، فى سورة إبراهيم ٥٢ :

« هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به . وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب » .

وفى سورة البقرة : ٢١ و ٢٢ .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

وقال فى الآية ١٦٣ / ١٦٤ من هذه السورة :

« وإلهكم إله واحد ،لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى

البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

وفى سورة فصلت : ٦

« قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين » .

وفى سورة الصافات : ٤ و ٥ :

« إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

وبين للمشركين أوضح بيان ، بأن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون شيئاً ، فقال فى سورة فاطر : ١٣ و ١٤ :

« يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١) ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير » .

---

(١) القطمير هو التى الذى بين النواة والثمرة — وهو القشرة الرقيقة .

أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين

وقد ضرب الله أبلغ مثل لبيـان ضلال المشركين فقال فى سورة الحج : ٧٣ و ٧٤ « يا أيها الناس ضرب مثـل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » .

الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك

ولتأكيد القرآن فى النهى عن الشرك قال :

«إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» .

أى أنه يغفر كل الذنوب حتى الكبائر لمن يشـاء ، إلا الشرك فإنه لا يغفره بأى حال .

الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن

أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقيم دعوته على قواعد الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وألا يجادل إلا بالتى هى أحسن .

فقال له فى سورة النحل : ١٢٥

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم

بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

ذلك بأن الناس أمام كل دعوة أصناف ثلاثة :ـ

(١) خاصة ـ وهم العلماء أهل النظر والفهم ،فهؤلاء إنما تكون دعوتهم (بالحكمة) وإقامة الدليل العلمى والعقلى . وما أسرع العقول المستنيرة إلى فهم الحق واستساغة الحكمة .

(٢) عامة ـ لم يصلوا إلى مرتبة أهل النظر والفكر ـ فدعوتهم بالبرهان العقلى أو العلمى لا تنفعهم ،وإنما الذي يجدى معهم ،ويبلغ من نفوسهم وقلوبهم، هى (الموعظة الحسنة) التى لا تقوم على أدلة علمية ، ولا قضايا منطقية ، وعلى الداعى أن ينزل إلى عقولهم لإيتائها ما تستسيغه مما يناسبها .

(٣) معاندون مجادلون ـ وهؤلاء لا يقنعهم دليل ،ولا يسلمون بحجة ،فجدالهم لا يكون إلا بالتى هى أحسن لأن الشدة المنطقية أو القوة العلمية ، إنما تزيدهم عناداً وتعصباً لآرائهم .

وقد جمعت هذه الآية الكريمة أصول الدعوة الصحيحة من أطرافها كما انتهت إليه علوم النفس الحديثة .

ومن أجل ذلك كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب ـ وهم أهل فكر وعقل ودين ـ بالحكمة ـ وكانت للأميين من أهل مكة ومن على شاكلتهم ، بالموعظة الحسنة ليجمعهم

على إله واحد يعبدونه وحده، ولا يشركون به شيئا،أما المعاندون فكان يجادلهم بالتى هى أحسن.

الحرية التامة فى دعوته

وقد أمره الله بذلك فى نشر دعوته لكى يدع للناس الحرية التامة فى أن يأخذوا بدعوته أو يدعوها ـ إذ لا يصح أن يكره أحداً على الإيمان بدينه، أو أن يسيطر على أى إنسان وإنما عليه البلاغ فحسب.

ذلك بأن الإيمان لا يبنى إلا على الاطمئنان القلبي، والاقتناع العقلى،وإليك آيات كريمة تصرح بذلك تصريحاً لا لبس فيه ولا إبهام:

« ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون. المائدة: ٩٩

وفى سورة يونس: ١٠٨

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنا عليكم بوكيل.

وقال فى سورة البقرة: ٢٥٦

لا إكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى، فمن يكفر بالطاغوت[1] ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها والله سميع عليم.

---

(١) الطاغوت هو كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان، والخروج عن الحق من مخلوق يعبد، ورئيس يقلد، وهوى يتبع.

وفى الآية ٢٧٢ من هذه السورة :

« ليس عليك هداهم، ولكن الله يهدى من يشاء »

وقال فى سورة الأنعام : ١٠٧

« وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل »

وفى سورة الغاشية : ٢١ و٢٢

« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ».

— ٢٥ —

اليهود والنصارى أهل كتاب وليسوا بمشركين ولا كافرين

مما نذكره والأسى يملأ جوانحنا أن هناك فكرة خطيرة أعرقت فينا ، وكان لها ولا ريب أثر كبير فى الخلاف بيننا وبين إخواننا من غير المسلمين ، تلك الفكرة هى أن بعض رجال الدين من المسلمين ـ كما بينا فى مقدمة هذه الرسالة ـ يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين ؛ وأنه يجب أن يعاملهم المسلمون على ذلك ! وقد انتشرت هذه النزعة إلى العامة ففعلت فى نفوسهم فعلها .

وهذا الأمر الذى يأسى له كل عاقل ، إنما مرده إلى الجهل بأصول الأديان عامةً ، ودين الإسلام خاصةً ، وماشاب هذا الجهل من تعصب ممقوت ، لاتبرح جذوره متأصلة فى بعض النفوس بغير علم ولا إدراك ، ولا نظر ثاقب إلى ما تؤدى إليه من ضرر اجتماعى ودينى معاً .

وقد كنا نظن أن نور العلم ، وانجياب غياهب الجهل فى هذا العصر — قد اجتث هذه الشجرة التى لا تؤتى إلا ثمراً مراً ، وقضى على هذه الآفة المزمنة ، وأن الناس قد عرفوا جميعاً أنهم خلقوا من طينة واحدة ، وأنهم أمام الله سواسية ، وأن كل إنسان حر فى اعتقاده ، كما هو حر فى تفكيره وعمله ، وأن ليس لأحد أن يتدخل فى أمر عقيدته ، أو يتسلل إلى معرفة ما استسر بين جوانحه ، لأن الحكم على عقيدة الرجل من حيث إيمانه أو شركه أو كفره ليس من حق مخلوق فى هذه الحياة ، وإنما هو من حق الله وحده وأنه قد استأثر — سبحانه — به ، وهو العليم الخبير الذى يطلع على دخائل القلوب ، ويعلم مطويات الضمائر ، وما تخفى الصدور ، علام الغيوب ، لا تخفى عليه خافية . ولا يظهر على غيبه أحداً .

كنا نظن ذلك — ولكن وا أسفاً — فإن العلم على انتشاره فى كل النواحى لم يغير شيئاً مما وقر فى النفوس أو حاك بالصدور .

ومما يحز فى النفس أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أناس عملهم فى الحياة الدعوة إلى السلام والوئام ، والحض على التعاون ونبذ الخصام . ولكن جرى عملهم على غير ما يظن الناس فيهم ، لأنهم وجدوا أن حياتهم الدنيوية ، ومصالحهم الشخصية لا تقوم إلا على بذر بذور الفرقة بين الناس ، وبث روح الخلاف بين العباد ، اتباعاً لشريعة الصيد فى الماء العكر . ومن أجل ذلك رأينا أن نسوق هنا الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن

اليهود والنصارى لايعتبرون مشركين ، ولا كافرين،وأنهم أصحاب كتب سماوية اعترف بها القرآن الكريم ، وأوجب الدين الإسلامى على كل مسلم أن يؤمن بها، بحيث لا يتم إسلامه إلا بهذا الإيمان ـ وقد سماهم القرآن الكريم فى كثير من آياته (أهل الكتاب) وأمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم بهذا الاسم ويعاملهم على مفهومه.وإن ذلك فى آيات كثيرة ، منها الآية الرابعة والستون من سورة آل عمران التى ذكرناها لك قبل صفحات .

ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود هنا ليس على إطلاقه،وإنما نقصد به اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام بحق،وآمنوا بتوراته الصحيحة التى أنزلها الله إيمانا صحيحاً،وأخذوا أنفسهم بآدابها وتعاليمها أخذاً صادقاً،أما الذين ملأوا الأرض فسادا ، ومنهم الصهيونيون ، والذين بلغ بهم الغرور أن يزعموا أنهم شعب الله المختار،وأن الدنيا لهم والآخرة من حقهم وحدهم ، فهؤلاء جميعاً ليس كلامنا فيهم ، ولا هم من الذين أمرنا الله أن نبرهم ونقسط إليهم.

تفسير آية:

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم . وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ، ولا متخذات أخدان » .

المائدة : ٥

تفسير المنـار :

بين الله لنا فى هذه الآية ألا نعامل أهل الكتاب معاملة المشركين فى ذلك (إذ كان المشركون يذبحون لغير الله تعالى بالإهلال به لأصنامهم أو وضعها على (النصب) فأحل لنا مؤاكلتهم ونكاح نسائهم ثم قال : إن الله حصر التحريم فى قوله (٦ - ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أودماً مسفوحا — الآية) وتحريم ماعداه يحتاج إلى نص .

وروى ابن جرير عن أبى الدرداء وابن زيد أنهما سئلا عما ذبحوه للكنائس ؟ فأفتيا بأكله . قال ابن زيد : أحل الله طعامهم ولم يستثن منه شيئاً .

وأما أبو الدرداء فقد سئل عن كبش ذبح لكنيسة يقال لها — جرجس أهدوه لها : أتأكل منه ؟ فقال أبو الدرداء للسائل : اللهم عفوا ، إنما هم أهل كتاب طعامهم حل لنا ، وطعامنا حل لهم، وأمره بأكله . . .

وقد أجمع الصحابة والتابعون على هذا ، وأكل النبى من الشاة التى أهدتها إليه اليهودية ووضعت السم فى ذراعها . . .

وكان الصحابة يأكلون من طعام النصارى فى الشام بغير نكير ولم ينقل عن أحد منهم خلاف(١) وقال ابن كثير فى تفسيره(٢) : وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء : إن ذبائحهم حلال للمسلمين

(١) ص ١٧٧ — ١٧٩ ج ٦ تفسير المنار

(٢) ص ١٩ ج ٢

لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله ، وان أعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس .

(والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

معناه أنهن حل لكم مطلقا ، لأنه معطوف على قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » . قال ابن كثير : (١)

لما نزلت هذه الآية — نكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى (٢) . فلم يروا فى ذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة فجعلوها مخصصة للتى فى سورة البقرة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) إن قيل بدخول الكتابيات فى عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها ، لأن أهل الكتاب قد انفصلوا عن المشركين فى غير موضع « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب إلخ (٣) » ، و « قل للذين أوتوا الكتاب والأميين ـ الآية » (٤)

---

(١) ص ٢١ ج ٢

(٢) نكح طلحة بن عبد الله يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فكتب إليه عمر : خل سبيلها ! فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال عمر : لا أزعم أنها حرام . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله إن الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات ، ص ٢٥٧ ج ١ تفسير ابن كثير

(٣) الآية الأولى من سورة البينة :

(٤) الآية ٢٠ من سورة آل عمران :

تحقيق لشيخ الإسلام ابن تيمية

فى معاملة أهل الكتاب

قال ابن تيمية فى فتاويه :

ليس لأحد أن ينكر على أحد أكل من ذبيحة اليهود والنصارى فى هذا الزمان ، ولا يحرم ذبحهم للمسلمين ، ومن أنكر ذلك فهو جاهل محض مخالف لإجماع المسلمين .

ومسائل الاجتهاد لايسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة ، وإيضاح المحجة ، لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد ، فإن هذا فعل أهل الجهل والأهواء . قال تعالى : —

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » فإن قيل — هذه الآية معارضة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وبقوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)

الشرك المطلق فى القرآن لايدخل فيه أهل الكتاب

قيل إن الشرك المطلق فى القرآن لايدخل فيه أهل الكتاب وإنما يدخلون فى الشرك المقيد . قال تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » فجعل المشركين قسما غير أهل

الكتاب — وقال « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا » فجعلهم قسما غيرهم .

فأما دخولهم في المقيد ففي قوله تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .

أصل الدين الذى أنزل الله به الكتب ليس فيه شرك

وسبب هذا : أن أصل دينهم الذى أنزل الله به الكتب ، وأرسل به الرسل ، ليس فيه شرك .

قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا آله إلا أنا فاعبدون — ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » ولكنهم بدلوا وغيروا فابتدعوا من الشرك مالم ينزل به الله سلطاناً ، (١) فصار فيهم شرك باعتبار ما ابتدعوا لا باعتبار أصل الدين .

آية المائدة خاصة

وإذا قدر أن لفظ المشركات ، والكوافر ، يعم الكتابيات فآية المائدة خاصة ، وهى متأخرة ، نزلت بعد سورة البقرة والممتحنة

(١) وكذلك ابتدع المسلمون ما لا يتفق مع أصول الدين ، ولم ينزل به سلطان فى الكتاب المبين ؛ وهذا معلوم بالضرورة للعلماء المحققين .

باتفاق العلماء ، كما فى الحديث « المائدة من آخر القرآن نزولا » فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، والخاص المتأخر يقضى على العام المتقدم باتفاق علماء المسلمين . . . وقد ثبت حل طعام أهل الكتاب ، بالكتاب والسنة والإجماع ، والكلام فى نسائهم كالكلام فى ذبائحهم ، فإذا ثبت حل أحدهما ثبت حل الآخر ، وحل أطعمتهم ليس له معارض أصلا ، ويدل على ذلك أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، فدل على أنهم كانوا مجتمعين على جواز ذلك (١) .

— ٢٦ —

الله رب العالمين

ومن هم الذين أنعم الله عليهم ؟

بعد أن بينا فيما سبق أن أهل الأديان جميعاً سواسية أمام الله ، وأنه ليس لأحد منهم فضل على آخر إلا بالعمل الصالح — نسوق كلمة جليلة من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لآية (صراط الذين أنعمت عليهم) من سورة الفاتحة بعد تفسير أول هذه السورة « الحمد لله رب العالمين »

---

(١) ص ١٥٤ جـ ٢ فتاوى ابن تيمية

قال رحمه الله ورضى عنه(١) : « رب العالمين » :

«يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى الرب : السيد المربى الذى يسوس مسوده ، ويربيه ويدبره ، ولفظ (العالمين) جمع عالم بفتح اللام — جُمِع جَمْع المذكر العاقل تغليباً ، وأريد به جميع الكائنات الممكنة — أى أنه رب كل ما يدخل فى مفهوم لفظ العالم — وما جمعت العرب لفظ العالم هذا الجمع إلا لنكتة تلاحظها فيه — وهى أن هذا اللفظ لا يطلق عندهم على كل كائن وموجود كالحجر والتراب ، وإنما يطلقونه ، على كل جملة متمايزة ، لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذى جمعت جمعه إن لم تكن منه ، فيقال : عالم الإنسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات .

«ونحن نرى أن هذه الأشياء هى التى يظهر فيها معنى التربية الذى يعطيه لفظ (رب) لأن فيها مبدأها ، وهو الحياة ، والتغذى ، والتولد — وهذا ظاهر فى الحيوان .

«ولقد كان السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله يقول : الحيوان

---

(١) ص ١٧ من تفسير سورة الفاتحة ، وقد افتتحت هذه السورة (سورة الفاتحة) بقوله « الحمد لله رب العالمين » لأنه سبحانه لم يكن ربا لطائفة من الناس دون أخرى ، فلم يكن رب اليهود وحدهم ، ولا ربَ النصارى فقط ، ولا رب المسلمين فحسب بل هو ربُ العالمين جميعا .

شجرة قطعت رجلها من الأرض فهى تمشى ، والشجرة حيوان ساخت رجلاه فى الأرض فهو قائم فى مكانه يأكل ويشرب ، وإن كان لا ينام ولا يغفل .

صراط الذين أنعمت عليهم

وقال فى تفسير « صراط الذين أنعمت عليهم » :

«لم يكن المسلمون فى أول نزول الوحى بحيث يطلب الاهتداء بهداهم ، وما هداهم إلا من الوحى ، ثم هم المأمورون أن يسألوا الله أن يهديهم هذه السبيل،سبيل من أنعم الله عليهم من قبلهم - فأولئك غيرهم - وإنما المراد بهذا ماجاء فى قوله تعالى«فبهداهم اقتده»(١) وقوله: « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (٢)أى من الأمم السالفة - فقد أحال على معلوم أجمله فى الفاتحة وفصله فى سائر القرآن بقدر الحاجة - فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص، وتوجيه للأنظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم فى كفرهم، وإيمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شىء يهدى الإنسان كالمثلات والوقائع - فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد ، ونظرنا فى أحوال الأمم السالفة ، وأسباب علمهم وجهلهم ، وقوتهم وضعفهم، وعزهم وذلهم - وغير ذلك مما يعرض للأمم - كان لهذا النظر أثر فى نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والاقتداء بأخبار تلك الأمم

---

(١) راجع صفحة ٥١ .

(٢) من الآية ٦٩ من سورة النساء .

فيما كان سبب السعادة ، والتمكن فى الأرض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة ، أو الهلاك والدمار . ومن هنا يتجلى للعاقل شأن علم التاريخ ، ومافيه من الفوائد والثمرات .

«ويرد ها هنا سؤال : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا ، وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم ، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، وأصلح لزماننا وما بعده ؟ والقرآن يبين لنا الجواب عنه :

دين الله فى جميع الأمم واحد

«وهو أنه يصرح بأن (دين الله فى جميع الأمم واحد) وإنما تختلف الأحكام بالفروع التى تختلف باختلاف الزمان ، وأما الأصول فلا خلاف فيها ، قال تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الآية» .

وقال تعالى « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده» الآية ، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر ، وترك الشر ، وعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة ــ مستو فى الجميع .

«وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليه ، والاعتبار بما صاروا إليه ، لنقتدى بهم فى القيام على أصول الخير ــ وهو أمر يتضمن الدليل على أن فى ذلك الخير والسعادة على حسب طريقة القرآن فى قرن الدليل بالمدلول ، والعلة بالمعلول ، والجمع بين السبب والمسبب »(١)

---

(١) ص ٤٦ — ٤٩ من نفس المصدر .

ولكى يتم القول فى هذا الأمر المهم، نورد تفسيراً لبعض آيات كريمة من قلم هذا الإمام الجليل.

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم [1] »

قال رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية الكريمة (٢) :

معناه أنه يريد أيضاً - بما شرعه لكم من الأحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم - أن يهديكم سنن الذين أنعم الله عليهم من قبلكم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، أى طرقهم فى العمل بمقتضى الفطرة السليمة وهداية الدين والشريعة، كل بحسب حال الاجتماع فى زمانه - كما قال :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ».

وإنما كان دين جميع الأنبياء واحداً فى التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالأعمال التى تقوّم الملكات وتهذب الأخلاق.

ليسوا سواء

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى :

«ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء

---

(١) سورة النساء ٢٦ — وص ٣٦ من تفسير القرآن الحكيم الجزء الخامس.

(٢) ص ٤٦ — ٤٩ من نفس المصدر.

الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ؛ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين »[1] .

هذه الآية من العدل الإلهى فى بيان حقيقة الواقع ، وإزالة الإبهام،وهى دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء ، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص ؛ فأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين.

« وما يفعلوا من خير فلن يكفروه »

وقال رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية :

أى فلن يضيع ثوابه ، كما يُكفر الشىء ، أن يستر حتى كأنه غير موجود ، وقال الزمخشرى إن كفر عدّى هنا إلى مفعولين لتضمينه معنى الحرمان فالمعنى لن يحرموا جزاءه .

(والله أعلم بالمتقين) وإنما يجزى العاملين بحسب ما يعلم من أمرهم ، وما تنطوى عليه نفوسهم من نياتهم وسرائرهم ، فمن آمن

(١) سورة آل عمران : ١١٣ : ١١٥ .

إيماناً صحيحاً، واتقى ما يفسد عليه ثمرات إيمانه، فأولئك هم الفائزون فلا عبرة بجنسيات الأديان، وإنما العبرة بالتقوى مع الإيمان».(١)

«ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب»

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى :

«ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب — من يعمل سوءاً يجز به، ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً(٢)».

ليس شرف الدين وفضله، ولا نجاة أهله به، أن يقول القائل منهم : إن دينى أفضل وأكمل، وأحق وأثبت، وإنما عليه، إذا كان موقناً به، أن عمل بما يهديه إليه.

فإن الجزاء إنما يكون على العمل — لا على التمنى والغرور، فلا أمر نجاتكم أيها المسلمون منوطاً بأمانيكم فى دينكم، ولا أمر نجاة أهل الكتاب منوطاً بأمانيهم فى دينهم، فإن الأديان ما شرعت للتفاخر والتباهى ؛ ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء إليها والتمدح بها ؛ بلوك الألسنة ؛ والتشدق فى الكلام بل شرعت للعمل.

ثم قال : وإنما سرى هذا الغرور إلى أهل الأديان من اتكالهم

---

(١) ص ٧١ — ٧٤ ج ٤ من تفسير القرآن الحكيم للأستاذ الإمام.

(٢) سورة النساء : ١٢٣ وسبب نزول هذه الآية أنه اجتمع نفر من المسلمين واليهود والنصارى وتكلم كل منهم فى تفضيل دينه فنزلت هذه الآية.

على الشفاعات ، وزعمهم أن فضلهم على غيرهم من البشر ، بمن بعث فيهم من الأنبياء لذاتهم ، فهم بكراماتهم يدخلون الجنة ، وينجون من العذاب ، لا بأعمالهم ، فحذرنا الله أن نكون مثلهم .

«وكانت هذه الأمانى قد دبت إلى المسلمين فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم، بدليل قوله تعالى فى سورة الحديد : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ! ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل » — الآية .

«فهذا خطاب للذين كانوا ضعفاء الإيمان من المسلمين فى العصر الأول، ولأمثالهم فى كل زمان ، والله عليم بما كانوا عليه حين أنزل هذه الموعظة ، وبما آل وما يؤول إليه أمرهم بعد ذلك .

« ولو تدبروا قوله لما كان لأمثال هذه الأمانى عليهم من سلطان ، فقد بين لهم طرق الغرور ، ومداخل الشيطان فيها [1] » .

لعل القراء يلاحظون أنى أكثرت من النقل عن الأستاذ الإمام محمد عبده ، وأنا أجيب عن هذه الملاحظة بأن الذى سوغ لى هذا الصنيع هو أن هذا الإمام الجليل — بما أوتى من رسوخ فى العلم ، وثقوب فى الفهم ، ورجحان فى العقل - قد درس دين الإسلام وغيره من الأديان والعلوم دراسة عميقة لم يظفر بمثلها غيره من علماء المسلمين ، حتى اصبح إمام عصره غير مدافع .

وإذا كان قد وصف بحق بأنه «يكاد يكتب الشريعة الإسلامية

---

(١) ص٤٢٢ و٤٢٣ ج ٥ من نفس المصدر .

بقلم صاحبها، فإنا نقول إن هذا الإمام هو ولا ريب مجدد الدين فى هذا العصر، ولم يكن تجديده مثل ما قام به المجددون قبله، بأن يعيدوا إلى الدين بهاءه، ويطهروه مما شابه فحسب، وإنما كان تجديداً تقتضيه الحياة فى هذا العصر الذى فاق ما قبله من العصور بعلومه وحضارته ومشاكله، إذ يجب أن يكون الدين صالحاً لكل زمان ومكان، وإذا لم يكن كذلك فليس بدين حى ينفع الناس.

ولو كان فينا اليوم عالم واحد يشبه هذا الإمام الجليل فى علمه وخلقه، وبصيرته وعلو نفسه، ووجد بجانبه من رجال الدين غير المسلمين من يتعاون معه، ويضع يده فى يده، لانجابت سحب الخلافات الدينية التى تراكمت على مدى الدهور فى سماء الحياة الاجتماعية، ولصفا الجو بين أهل الأديان جميعاً، حتى يكونوا كالأسرة الواحدة التى تعيش معتصمة بحبل المحبة والإخاء، متعاونة على ما فيه السعادة والهناء.

— ٢٧ —
اتحاد أهل الأديان الثلاثة

وإذ وصلنا إلى هنا من الكلام عن الأديان واتحادها فى الأصول، وأنه يمكن اتفاق أهلها كذلك إذا خلصت النوايا ونظر إليها بعين العلم والإنصاف بعيدة عن التعصب والهوى، فإنا ننشر كلمات رائعات لعلماء كبار من علماء الأديان الثلاثة ـ اليهودية والنصرانية والإسلامية.

— ١ —

كلمة الحاخام الأكبر

ونبدأ بكلمة حاخام اليهود الأكبر (رحمه الله) وهاهى ذى بعنوانها كما نشرت بجريدة الأهرام فى يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٥٣ :

الحرية تؤدى إلى الإخاء والمساواة

تباين العقائد لايحول دون الاتحاد بين القلوب(١)

ألقى سيادة الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية أمس ، فى ميدان الجمهورية ، كلمة بمناسبة الاحتفال الوطنى الكبير الذى أقامته الأمة بهذه المناسبة السعيدة الكريمة قال فيها :

أيها المواطنون الأعزاء ، سلام الله عليكم ، إن الله جل جلاله وعظمت أعماله ، خالق السموات والأرض، يشرف من عليائه على هذا الكون الذى أبدعه بحكمته ، ونظمه بكلمته .

السمو رمز الخلق الكريم، والسلوك القويم،والخلق والسلوك أساسهما الإيمان بالله والعمل بأوامره وتجنب نواهيه ، فإذا راعى بنو الإنسان على اختلاف أديانهم وصايا الله ارتفعت أرواحهم إلى أوج السماء مرددة ، فى صوت واحد ، المديح والتسبيح والتحدث بنعمة الله العميمة ، وأفضاله السابغة العظيمة .

---

(١) إذا كانت هذه القلوب صافية ! ولكن هذه الكلمة القيمة التى صرح بها الحاخام الأكبر لليهود لا تجد لها أثراً بين اليهود أنفسهم،لأن الكثرة الغالبة منهم لهم أعمال شيطانية هم لها عاملون .

والأرض التى نمشى فى مناكبها هى منحة من الله لبنى الإنسان ، من بها عليهم ليأكلوا من ثمارها اليانعة، ويرتووا من أنهارها العذبة، وتكتحل عيونهم بمناظرها الخلابة ، مما يزيدهم إيماناً ببارىء الكائنات ، ومبدع المخلوقات.

إن تباين العقائد والأديان حكمة آلهية يصعب على المرء إدراك كنهها ، وكشف سرها ، بيد أن هذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب وصفاء النفوس ،فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان ، التى إذا جمعت فى باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت أوتار الشعور .

ومن يمن الطالع وحسن الفأل أن نرى الأمة المصرية الكريمة فى ظل الجمهورية العظيمة متآزرة متكاتفة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، مسترشدة بمبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، فالحرية هى حرية الرأى وحرية العقيدة ، وكلاهما يؤدى إلى الإخاء الخالص لوجه الله ،وإلى المساواة بين الجميع، بلا تمييز بين كبير وصغير، أو غنى وفقير، أو عظيم وحقير ، والمساواة التى هى شعار العهد الجديد من شأنها أن توحد الجهود، وتنظم الصفوف، توصلا لأداء العمل الصالح، واتحاد عناصر الأمة شبيه بالفرقة الموسيقية المختلفة الآلات والأصوات ،فإذا رفع رئيس الفرقة عصاه مشيرا إليها بالاستهلال ، ترددت من تلك الآلات المتباينة أنغام متناسقة تشنف الآذان وتأخذ بمجامع القلوب ، فقائد الفرقة هو رئيس جمهورية مصر الخالدة، وأفرادها هم المواطنون المصريون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وألوانهم .

فإذا شمل الاتحاد السماء والأرض،كان ذلك إيذاناً باتحاد جميع الشعوب، ونبذ المنازعات والحروب، وإحلال الوئام محل الخصام، والوفاق محل الشقاق، فيسلك العالم سبيل التقدم والرقى لخير الإنسانية قاطبة.

فسر على بركة الله يا حضرة الرئيس وفقك الله فى إعلاء كلمة مصر، وتحقيق أمانى شعبها التالد فى ظل النظام الجمهورى العتيد الخالد.

— ب —

جمعية التأليف والتقريب

كانت قد تألفت جمعية فى بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها: التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق من بين أهلها، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق. وقد ضمت بين أعضائها علماء كباراً من مسلمى الترك وإيران والهند وبعض كبار الإنجليز، وكان من أكبر أعضائها فى لندن القس إسحاق طيلر - بل كان هو داعيها هنالك، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده صاحب الرأى الأول فى موضوعها ونظامها.

ما قاله القس إسحاق طيلر فى الإسلام والمسلمين

كان القس إسحاق طيلر ينشر مقالات فى الصحف الإنجليزية عن الإسلام والمسلمين، بعد أن أطال الدرس فى الدين الإسلامى واختبر أهله، ويطول بنا القول إذا عرضنا لكل ما كتب هذا القس

الفاضل (رحمه الله) ولكنا نشير إلى مقالتين مما كتب نشرت إحداهما في جريدة «سنت جيمس غازت» الإنجليزية في ١٨ أبريل سنة ١٨٨٨ بعنوان (الإسلام والمسلمون) وقد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين — إذ كان قيل له إنه مبالغ في مدح دينهم قال فيها:

«إني ذهبت إلى مصر أحد أقطار الإسلام، وقصدي الوحيد أن أطلع في ذلك المكان على الأعمال المجموعة في القرآن — من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة، وأعلم بقدر الإمكان ماهي العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوي التربية، فما لقيت مانعا لمقصدي هذا.

أقول الحق: إن المسلمين تأثروا مما يتهمون به عناداً، وأن أمرهم الظاهر قد شتبه على النصارى، فكيف نحكم نحن معشر النصارى عليهم بالكفر بعد أن نسمع قولهم لنا «آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»

إني أقر وأعترف بأني تعجبت غاية العجب لما رأيت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا عن موضوع عقائدهم، وحاضرين للاعتراف بذنوبهم:

قال لي أحد علماء الإسلام الذي هو عالم بكتبنا وبالقرآن ككثيرين من أمثاله: نحن لا نرى من المعصية البحث في الدين، بل هو محبوب عندنا، لأن الحق إنما يظهر به، ويتبين الرشد من الغي.

تعالوا نبحث في هذه المادة، حتى تروا في أي شيء نوافقكم، وفي أي شيء نخالفكم، عسى أن لا يكون إصلاح ذات البين أمراً صعباً.

لا ريب أنه حدث عندنا ما كان يجب علينا تركه ، لأننا زدنا أشياء كثيرة على ديننا الطاهر الموجود فى كتابنا الإلهى .

كذلك فعلتم أنتم من قبلنا ، حتى انقلبت الأمور عليكم من تهاونكم فى حفظ الدين عن الشوائب . . .

إن رجعنا إلى خالص تعليم نبينا كما فى كتاب الله ، ورجعتم إلى خالص تعليم عيسى عليه السلام وحوارييه ، كما فى الإنجيل فلا نجد ما يفرق بيننا وبينكم .

مسيحيتكم السابقة ليست مردودة عندنا ، ولكننا نعتقد أن تعليمات عصر عيسى عليه السلام والحواريين، غشيتها الأباطيل منذ أيام قسطنطين الأول ، ورفض تلك الأباطيل واجب . سيأتى زمان تترك فيه هذه المفاسد كلها ويبقى على الأرض دين واحد خالص ، كل إنسان يقدر على قبوله . (١)

إنى قبل ذلك كنت قد رأيت القبط فى عبادتهم لمريم واعتكافهم على التماثيل ـ وهم الذين يتعلم منهم المسلمون المصريون عقائدهم المخصوصة المتعلقة بالمسيحية ـ ولذلك ظننت أن صديقى كان مدركا لقضيته ، وحسب أن الإنجليزى المتمدن بالنسبة إلى المسلم العاقل

---

(١) تراجع كلمة السيد جمال الدين الأفغانى الجامعة فى دين المستقبل فى آخر هذه الرسالة .

مشابه للقبطى الجاهل .(١)

لا يدخل فى العقل أن نترقب أن المسلمين سيتركون عقائدهم وصور عباداتهم التى تربوا فيها ، بمحض أمرنا وإرادتنا ، ويقبلون رسومات مرسلى النصارى الضيقة ، الذين يجتهدون أن يردوهم عن دينهم إلى أحدى العقائد المناقضة الموجودة بين الرومانيين أو البروتستانتيين — المسلمون يسهل عليهم أن يقبلوا كتب العهد الجديد أو الإنجيل ، ولكن لهم الحق كالبروتستانتيين فى أن يفسروا أو يأولوا تلك الكتب كما يشاؤن ، وهم يرفضون رفضاً تاماً كل صور العقائد المخترعة كالبنود التسعة والثلاثين المتعلقة بالكنيسة الإنكليزية ، واعتراف الوستمنسترية (٢) أو القضاء المثلثة الأسنان وأمثال ذلك — كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض — ورسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ، ويؤمن بوجوب الصلاة ، وببقاء النفس فى الآخرة ، إما فى الرحمة ، وإما فى العذاب ، وبإلهامية الكتب المنزلة من قبل .

أمة محمد متقية جداً وبعض أدعيتهم ، وصور مناجاتهم حسنة للغاية ، حتى لا يمكن لأحد من المستحقرين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

---

(١) كتبت هذه المقالة منذ نحو ثمانين سنة .

(٢) نسبة إلى البلاط الملكى الكبير بانجلترا

وبعد أن ضرب المثل بسورة الفاتحة ودعاء القنوت ودعاء مأثور عن داود يدعوه المسلمون قال :

— لا يصعب أن يؤلف من صحف أدعية المسلمين كتاب صلاة — إن لم يذكر مأخذها — يكون مقبولا فى البلاد المسيحية .

ثم قال :

ما من عقيدة من عقائد الإسلام إلا ونراها قد تمسك بها بعض الذين يسمون عندنا المسيحين ، وعدَّد من ذلك كثيراً ، ثم قال :

وما يمكن أن نرى أحداً من المسلمين قد تمسك بمفتريات أو أباطيل كتلك الموجودة بين فلاحى جنوب إيطاليا .

ثم تكلم فى المقارنة بين الإسلام وفرق أهل الكتاب فى أمر النساء وفى الحروب المقدسة استطرد فقال :

هناك تهمة أخرى ، وهى أن الإسلام غير متقدم ، لكن هذا شىء يمكن القول به فى حق كل الأديان الشرقية ، وهى مسألة جنسية أو إقليمية لا دينية . وختم القس هذه المقالة بهذه السطور :

إنى أترك لمقالتى الآتية بيان المذاكرة فى موضوع دين المسيح وذكر رغبة كثير من المسلمين فى إصلاح الحال - حتى قال لى أحدهم : لا يبعد أن يحصل بين المسيحيين والمسلمين مودة تامة وتماس بأيدى الصداقة والآخوة وزوال أسباب الحرب إن شاء الله (١) .

---

(١) ص ٩٢٥ — ٩٣٢ ج ٤ المنار - ونحن نقول كذلك - إن شاء الله

وهذه هى المقالة الثانية وعنوانها : (١)

القرآن والكتب المنزلة

إن المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته ، وهو عندهم معدود فى أولى العزم من رسل الله إلى خلقه ، فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ، ونسأل الله أن يهديهم وإيانا إلى الحق وطريق مستقيم .

ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وأنه كلام الله وتنزيل من عنده، وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية ، وأنها بوحى من الله وإلهام ، بل يعرف من صريح كلام المسلمين أن اعتقادهم بالكتب السماوية إنما ساقه إلى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن ، فهم فى اعتقادهم بها يمتثلون أمراً من أوامره ، ويجيبون داعياً من دواعيه ، وليس فى المسلمين من يدعى أن القرآن يكذب شيئاً من الكتب الإلهية ، ولا فى إمكان مسلم أن يدعى ذلك لما يشهد به القرآن ، من أنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، مصدق لما معهم من الحق : ولكنهم يقولون : إن القرآن خاتمة الكتب ، كما أن من أنزل عليه (ص) خاتمة الأنبياء ، ولا تجد مسلماً إلا يؤمن بالتوراة والإنجيل ، والزبور والقرآن .

---

(١) نشرت فى جريدة سنت جيمس فى ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

فكل صحيفة من الكتب الآلهية ، ثبت مجيئها على لسان نبي صادق،فهى عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل ، وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق.

وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم فيما يعرف بالأحاديث شيئاً من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ، ويتلقونها بالقبول ، غير أن المعروف عندنا أن الأناجيل المشهورة لم تكتب فى عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره فى حياة من أنزل عليهم .

فلا لوم على المسلم إذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل، كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه من الأحاديث ، لأن عروض الشبهة فى نقل من تتحقق عصمته أمر طبيعى عند عموم البشر .

قال لى أحد المسلمين : إن القرآن يشهد بأن الله آتى عيسى عليه السلام الإنجيل ، وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، وما نعرفه من الكتب الإلهية نقبله ولا ننكر شيئاً منه ، وإن كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله ، كما اختلفت الأحزاب من بينكم .

وعندنا أن كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياؤكم من قبل ، كما تقولون فى المسيح عليه السلام .

وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى فى اصطفاء الله له ، كذلك لا يقدح إنكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى ثبوت رسالته .

وبعد أن تكلم عما بَهَر العقول من الحكم الدقيقة التى برعت بها أحكام القرآن وانطباقها العجيب على ما تقتضيه طبيعة الإنسان الدينية ، من حيث طلبه للدين ، وتأثيرها الغريب فى قلوب الآخذين بها ، وما إلى ذلك قال :

« وفى الحق أن لهم أن يسألونا : هل يمكن لأمى مثل محمد ، أن يأتى بحقائق زكية نقية علمية ، وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن دون أن يكون ذلك بوحى من الله وإمداد منه ؟ »

أما ما يقال من أن القرآن لم تذكر فيه معجزة لمحمد سوى القرآن نفسه ، فيجاب عنه بأن هذا لا يقدح فى رسالته ، بل هو أوضح دليل على صدقه فى دعواه ، إذ لو كان ملبساً أو مفترى لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على أصحابه، ويحمل الناس على الإعجاب بغرائبه ، وقد رأينا أن المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات ، والذى يظهر لنا أنه لولا قساوة قلوبهم ؛ وعنادهم لما عول فى دعواه عليها . على أن الأعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام ، أصبحت فى هذه الأيام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه ، فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها .

فعدول محمد فى إثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه ، وصدق أنبائه ، والبراهين العقلية التى تحدق إليها

البصائر السامية ـ كل ذلك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم على صدقه ، ولا إشكال فيه ، بل هو عين ما يطلبه المسلمون ... إلى أن قال :

بقى شىء يشتد الإنكار فيه منا على المسلمين ، وهو اعتقادهم بجنة جسمانية ، فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين !

على أنى أقول : وما إنكارنا ونحن نرى فى كتاب نشيد الأناشيد المنسوب إلى سليمان بن داود عبارات إن حملت على ظاهرها كانت أدخل فى الجسمانية وعالم المادة من كل ما ينسب إلى القرآن ! !

ثم إننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية فى مكاشفات يوحنا المعدودة عندنا خاتمة الأناجيل ، فإنه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهى الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها ، وما فيها من أبواب من لؤلؤ ، وأزقة من ذهب ، وجدران من جوهر ، ويفيض فيما رواه من ذلك بما لم يأت القرآن بمثله .

وإن لنا عبارة تألفها نفوسنا ، ونترنم بها فى عبادتنا مع الافتخار ، إذ نقول : (أورشليم المذهبة المباركة ، باللبن والعسل).

وليس يخطىء قائل لنا : إن نغمات المظفرين ، وأغانى المختلفين التى نجدها فى مكاشفات يوحنا ، تذكرنا بأن غاية المسيحى من إيمانه وأمله المطلوب من عبادته ، أن يصل إلى جنة ، نعيمه فيها أن يأكل ويشرب ويسكر ويغنى ؛ كما نرى من عمله فى هذه الدنيا أيا

الأعياد المشهورة ، على أننا نؤول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ، ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس ، على سر معقول .

وإن العارفين من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيما روحانياً ، يتعالى إلى غير النهاية عن النعيم الجسدانى ، ولسنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول) ونحكم بأن المسلم لا مطمح له فى أخراه إلا الأكل والشرب، وقضاء شهوات أخرى . وقد ذكر القرآن فى سورة القيامة : من جزاء المؤمنين أن تكون وجوههم يوم القيامة ناظرة إلى ربها . ومن الأحاديث النبوية ، ما معناه أن أعظم فوز يفوز به العبد فى الآخرة هو لقاء ربه فى الغدو والآصال .

ومن حديث آخر ما يشبه المعروف عندنا « إن الله قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »(١) .

وإن فى عقائد المحمديين : أن رضوان الله أكبر من كل نعيم . فإن وافقنا المسلم على أن جنة جسدانية لا تليق أن تكون جزاء المؤمن فى الآخرة ، أفلا يجوز له أن يؤول ما ورد فى كتابه من ذلك ، كما أولنا عبارات النشيد وعبارات الكاشفات ، والتأويل عليه أسهل منه علينا ، فإن عنده فى كتابه ما يشير إلى أن

(١) وجاءت الآية « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » السجدة ١٧ .

بعض ما قص الله عليهم من المتشابه لا يؤخذ على ظاهره ، وله فى السنة ما معناه : ليس فى الجنة شىء مما فى الدنيا إلا الأسماء(١) ، أما نحن فلم يذكر لنا فى المكاشفات ما يسوغ التأويل ، ويشير إلى أن ما جاء فيها من الأوصاف إنما هو ضرب من التمثيل، لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو مذكور .

فللمحمديين حق إذا طلبوا الجنة الروحانية واللذائذ السامية العقلية ، وهم مؤمنون بكتابهم، ويرون أن هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم ، وإنى أحسب من الظلم الفاحش ، أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه فى إيضاح غوامض كتابنا المقدس » (٢) .

* * *

تعليق على ما كتب هذا القس الفاضل

مما يسرنى جد السرور أن أجد عالماً دينياً مستنيراً يتكلم فى أصول الأديان بروح الإنصاف،ويبحث فى أغراضها بعلم وعقل، غير متأثر بعاطفة أو تعصب ، أو هوى ، سواء أكان هذا العالم مسلماً أم غير مسلم.

ومن أجل ذلك كان سرورى عظيماً عندما وقفت على هاتين

---

(١) هذا حديث مروى عن ابن عباس .

(٢) ص ٥٩ — ٦٤ ج ٥ المنار .

المقالتين اللتين نشرهما القس الإنجليزى الفاضل إسحاق طيلر (رحمه الله) فى الصحف الإنجليزية فى سنة ١٨٨٨ ، إحداهما بعنوان (الإسلام والمسلمون) والثانية بعنوان (القرآن والكتب المنزلة) فقد وجدت فيهما عقلا وعلما، وإنصافا وفهماً .

وتضاعف سرورى عندما ألفيت العالم الإسلامى الذى كان يباحث هذا القس واسع الاطلاع على أصول الأديان ، وبخاصة دين الإسلام ، ويبدو أنه الإستاذ الإمام محمد عبده ، لأن ماصدر عنه من إجابات حكيمة سديدة ، وبخاصة فى ذلك التاريخ البعيد ، (سنة ١٨٨٨) ما لا يكاد يعرفه غير الأستاذ الإمام محمد عبده وأستاذه السيد جمال الدين الأفغانى (رحمهما الله)

ولنفاسة هاتين المقالتين آثرت ضمهما إلى هذه الرسالة ليأخذا مكانهما بين صفحاتها ، وهى أولى بهما من غيرها .

ومن حسن التوفيق أن تضم رسالتى هذه آراء قطبين عظيمين من كبار أقطاب المسلمين والنصارى ، عملا جهدهما على التأليف والتقريب بين الأديان .

جمعية التأليف والتقريب

أما جمعية التأليف والتقريب التى أسسها هذان العالمان العظيمان منذ ثمانين سنة ، واشترك فيها أحرار أبرار من جميع الأجناس البشرية ، فقد كانت من أجل الأعمال التى تحتاج إليها الإنسانية على مدى التاريخ كله.

وما أحرانا أن نقتفى أثرهم، ونبعث أغراض هذه الجمعية من مرقدها وتؤلف - فى هذا العصر - مثلها، لتنهج نهجها وتصل إلى اغراضها .

وإنى لأرفع صوتى بالدعوة إلى تأليف جمعية تربط بين أصحاب الفكر والعقل من المسلمين وأهل الكتاب جميعا، وتعمل على تأليف القلوب بين أهل الأديان ، وصفاء النفوس بين جميع بنى الإنسان !

وإن خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى، هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التى وضعها العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا (رحمه الله) للاتفاق بين المختلفين فى المذاهب والأجناس ، من المسلمين ، والمختلفين فى الأديان والأجناس الأخرى وهى :

قال رحمه الله :

(تتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف عليه).

هذا ما أدعو إليه وأجهر به للناس كافة - على بصيرة - وقد بلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد . والفضل لمن يسبق فيحمل العلم.

— ٢٨ —

الأديان الثلاثه متفقة فى المبدأ والغاية

وهذه كلمة حكيمة لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغانى :

قال رحمه الله : الناس تجاه الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية، والمحمدية وكتبها لابد أن يكونوا أحد رجلين :

إما رجل يعتقد أن رجال الأديان الثلاثة قد أرسلهم الله ،

وأوحى إليهم بالتوراة والإنجيل والقرآن ، والقصد من إرسالهم ، إرشاد الخلق إلى طريق الحق، وهدايتهم للصراط المستقيم فى الأمور التعبدية ، وبيان الحلال والحرام وصون مصالح العباد ، بما شرعه لهم من الشريعة وإلزامهم العمل بها .

ويوضح بالإجمال : مشيئة الله بما يريده من خلقه، وما يريد أن تكون خليقته عليه ،وعلى هذا لا يمكن أن يكون قصد الله إلا واحداً ، ومشيئته إلا واحدة ،وكتب الوحى، وما أنزله على الرسل لا بد أن تكون متفقة فى المقصد والغاية ، ولا يصح التباين فى جوهرها ، ولا أن يخالف بعضها بعضاً .

فلننظر إلى الأمر الرئيسى الذى جاء فى التوراة (١) ـ فى أمر العبادة ـ وما أراده الله من عباده هناك ـ فنرى أن الله قد نادى موسى من جانب الطور وكلمه قائلا : إنى أنا الله، لا رب سواى، فاعبدنى ، أنت وبنى إسرائيل ».

ومختصر ما ورد فيها : أن طاعة الله وعبادته ،والعمل بما يبلغه الرسول ، كل ذلك له فى الآخرة ثواب وسعادة سرمدية ، فضلا عن عاجلة الدنيا

والإنسان بدافع الحب الذاتى لا يريد ولا يحب أن يعتقد أنه سيذهب سدى بعد الموت ، لأن الاعتقاد فى ذلك مزعج

(١) نقلنا فى كتابنا هذا صفوة ما فى العهد القديم والعهد الجديد والقرآن مما جاء فى أصل دعوة الرسل جميعاً .

للنفس ، مونس للروح ، فهو يرجو بعد الفناء الظاهرى أن يبعث ويكون له معاد ، وأن يحيا حياة أبدية .

ثم لننظر ما جاء فى الإنجيل، وما قاله المسيح فنرى أنه قال ما معناه ، «اعطيتنى سلطانا على كل جسد لأعطى حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه الحياة الأبدية، أن يعرفوا أنك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع هو المسيح الذى أرسلته». (١) فالعيسوية هى (ناموس) جاء متمماً لما قبله من التوراة، كما قال المسيح: جئت لأتمم الناموس لا لأنقضه إلخ.»

ثم إذا نظرنا إلى المحمدية نرى القرآن مشحوناً بتوحيد الله ولزوم طاعته وعبادته بقوله «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» «قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئاً» «والحمد لله رب العالمين» و «إياك نعبد وإياك نستعين» .

هكذا نرى الأديان الثلاثة متفقة فى الأمور التعبدية ، بلا أدنى تباين أو تخالف .

ثم ننظر فى المعاملات وما أجيز منها ، فى تلك الأديان ، وما نهى عنه فيها . فنرى أن ما جاء به موسى ، أو ما أمره الله به من الوصايا قد عمل بها المسيح عليه السلام ولم ينقض ، أو ينقص منها شيئاً ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم فإنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

قلنا إن الناس تجاه الأديان الثلاثة وكتبها أحد رجلين :

---

(١) ٢ و ٣ /١٧/ إنجيل يوحنا .

رجل يعتقد بالوحى ويؤمن بالأنبياء والرسل ؛ ورجل يجحد الوحى ولا يؤمن بالأنبياء ، ولا بإرسالهم من عند الله .

أما الرجل المؤمن فقد بحث ودقق وطبق كتب الأديان الثلاثة بعضها على بعض كما مر ، فلم يجد فيها أقل تباين ، بل وجدها متفقة فى المقصد والغاية .

وأما الرجل الكافر ، ومنكر الوحى فيقول : إن الكون مع حوادثه من حيث حقيقتهما ليس فيهما شىء جديد وما نراه جديداً ، إنما هو فى شكل الإبراز ، وصورة الإلقاء والتلقى ، فيأتى فى قرن من القرون أولو بصيرة ولب ودهاء فيعلمون تعليما بشكل خاص ، وصور معلومة عندهم تأخذ من نفوس الخلق كل مأخذ ، ويتعبد بها إذا وضعت فى شكل تعبدى ، أو يعمل بها إذا أفرغت فى قالب تعليمى . فالتعليم بتوحيد الله وتقديسه معروف عند قدماء المصريين قبل موسى بأجيال ، والتثليث من تعاليم الوثنيين . وقد قال به فيثاغورث الفيلسوف اليونانى قبل المسيح بخمسمائة عام . وأن موسى وعيسى ومحمداً ، هم رجال عقلاء حكماء امتازوا عن وسطهم ، وجمعوا من معتقدات الأقدمين قواعد وأقوالا وضعوها فى كتب لا يعقل أن تكون من إله السماء ! !

ويقول ذلك المنكر إننا لو سلمنا أن فى كتب الأديان شيئاً من النفع فهو لا يوازى مضار ما نراه بين أهل الدين نفسه

والأديان من الاختلاف ، والتنافر ، والمشاحنة ، والبغضاء ، ولو كانت من الإله حقيقة لجعلهم يتفقون عليها ولا يختلفون ، ثم يستحيل أن يكون فيها ما يرى من الخرافات إلخ .

قال جمال الدين : هذا غاية ما عند الجاحد المنكر من القول والحجاج .

والمطلوب منه فى موضوعنا هنا ، ليس الإيمان بالوحى ، وبالأنبياء ، بل ما إذا كانت كتب الأديان الثلاثة متفقة فى التعاليم الجوهرية وفى المقصد والغاية - أم لا ؟

أما اتفاقها وعدم تخالفها ، فقد ثبت ، ولا يستطع أحد جحوده وإنكاره ، وأما ما يراه المنكر ونراه نحن أيضاً من اختلاف أهل الأديان ، فليس هو من تعاليمها ، ولا أثر له فى كتبها

وإنما هو صنع بعض رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ، ويشترون بآياته ثمناً قليلاً ، ألا ساء ما يفعلون !

رؤساء الأديان - ما أنفعهم إذا صلحوا ، وما أضرهم إذا فسدوا ، فالأديان فى أصلها وجوهرها ، وازع عظيم ، ودواء نافع مفيد لكثير من أمراض البشر . هذا إذا أحسن الأطباء (وهم هنا رؤساء الأديان) عدم خلط ذلك الدواء بالضار من الأجزاء ، وراعوا قابلية العقول قبل الأجسام ، وأعطوا منه بقدر معلوم ، قولا مفهوما ، وبياناً معقولا .

مغزى أقوال السيد المسيح

سأله سائل، قال: إن النصرانية لا تعلّم التوحيد، بل أساسها قائم على التثليث والإنجيل طافح بمثل أقوال المسيح « أنا فى الآب والآب فىّ » ومثل قوله « أيها الآب: مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً ».

فقال جمال الدين: إن المسيح (ص ع) وضع أساس تعليمه والغاية من مجيئه، أن يكمل الناموس لا أن ينقضه، وناموس موسى بنى على التوحيد، فلا يصح نقض ذلك الأساس. وإن وردت بعض الأقوال التى يخالف ظاهرها ذلك الأساس وجب الرجوع إلى التأويل ـ كما قدمنا ـ وإلا يرمى أى دين بالضعف والوهن.

وأما أمثال قول المسيح « أنا فى الآب والآب فىّ »، فقد ورد عنه « أبى وأبيكم »، « وكلهم أبناء الله يدعون ». وفى التوراة جاء ذكر « إسرائيل ابنى البكر »، وهذه الأقوال كلها تصوف محض.

ووردت فى كلام أهل التصوف من المسلمين أقوال مغلقة مثل قول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى، والخوّاص، والجنيد والحلاج، والجيلى، وابن مشيش، والسهروردى، والبكرى وغيرهم، وإليك أمثلة منها:

يقول الشيخ الأكبر فى بعض صلواته:

« اللهم يا من ليس حجابه إلا النور، ولا خفاؤه إلا شدة

الظهور، أسألك به فى مرتبة إطلاقك عن كل تقييد ، التى تفعل فيها ما تشاء وتريد ، وبكشفك عن ذاتك بالعلم النورى ، وتحولك فى صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصورى» .

وقول السيد البكرى : «نعم العبد الذى به كمال الكمال،وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ، ولا اتصال ولا انفصال» .

قال جمال الدين : ترون من هذه الكلمات المتناقضة ظاهراً ـ إنما أراد نفى الحلول الذاتى ـ فأتى لذلك بنفى الحلول أولا وإلا فكيف يعقل ، لو بقينا علىمفهوم الظاهر فى معنى الكلمات ، أن المتصل فى الوقت ذاته يكون منفصلا !

فمعانى التصوف ـ وإن كانت مغلقة فى الغالب ـ لا يفهمها إلا أصحاب الذوق والمواجد ، ويعسر على غيرهم تناول فهمها، فلا بأس من التقريب فى التأويل ، لينتفى غير المعقول .

خير مثال

وخير مثال يُضرب للعقل المفهوم فىمثل هذهالحال والأقوال، «المرآة» التى تمثل الشىء تماماً ، فيفتح بهذا المثل بعض مغلقات ما ذكر من كلام المتصوفة : فإذا قابلت المرآة الشمس ، رأيتها فى المرآة . ولا يعترى الإنسان أدنى شبهة أنها «الشمس» على غير طريقة الحلول فى المرآة ، ولا على صورة الاتحاد ، أو الاتصال ، أو الانفصال .

وحقيقة ذلك المرئى من الشمس إنما تجلى فى المرآة (لشفافيتها) وبتلك الشفافية حصل ذلك الانطباع على تلك الصورة على غير حلول ولا ولا إلخ ، ثم قال : وإذا علمنا أن تجلى الشمس فى المرآة حصل لشفافيتها،هكذا تجلى الذات فى خلقة عندما تتلطف الكثافة الترابية والجسمانية ، وتشف الروح وتتمكن من اتصالها بعالمها أن ترى من الذوق فى الشهود مالا يسعه إلا التعبير بالمتناقضات ظاهرا — كما تقدم — وليس ثمة تناقض . وكلام المسيح (ص.ع) إن هو إلا غاية فى التصوف ، ولا يصح حمله أو فهمه على صورته الظاهرية،وإلا لانتقض أساس الناموس الموسوى الذى إنما أتى ليتممه ، فلا يصح أن تنزل التوراة على موسى من عند الله (بالتوحيد) وينزل الإنجيل من عند الله على عيسى (بالتثليث) .

وصريح أقوال المسيح فى جوهر الاعتقاد أكبر دليل على صحة ما نقول : من أن الأديان الثلاثة متفقة فى المقصد والغاية (١) .

وبعد أن فرغنا من الكلام عن دين الله الذى جاء على ألسنة جميع الرسل،وأثبتنا أن دين الله واحد فى كل زمان ببراهين لاتدع للشك سبيلا ، نجد من الخير أن نحلى رسالتنا بآيات بينات من

---

(١) من ص ٢١٣ — ٢٢٣ خاطرات جمال الدين .

الكتب المقدسة للأديان الثلاثة المشهورة التي يدين بها أغلب سكان العالم اليوم وهى :

دين موسى، ودين عيسى، ودين محمد ، صلوات الله عليهم جميعاً.

ونبدأ بآيات من العهد القديم أوردها المسيح صلوات الله عليه ورسله فى العهد الجديد ، ونثنى عليها بالموعظة الجليلة التى ألقاها السيد المسيح عليه السلام فى الجبل ، ثم نتم رسالتنا بآيات من القرآن الكريم تتصل بموضوع الرسالة ، ونختمها بآيات أخرى من آداب ووصايا ومواعظ القرآن ، وبذلك ننتهى إلى الغاية التى نريدها بعون الله وتوفيقه .

— ١ —

آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله فى العهد الجديد

لكى تتم القول فى دعوة السيد المسيح عليه السلام نأتى بآيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله فى العهد الجديد :

من سفر التكوين

الفصل العدد

١٥ ٦ آمن إبراهيم بالله فحسب له بذلك برا ـ رومية ٤ : ٣ غلاطية ٣ : ٦ ـ يعقوب ٢ : ٢٣ .

١٧ ٤ إنى جعلتك أباً لأمم كثيرة ـ رومية ٤ :١٧

من سفر الخروج

الفصل العدد

٣ ٦ أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب - متى ٢٢:٣٢
مرقص ١٢ : ٢٦ لوقا ٢٠ : ٣٧ .

من سفر تثنية الاشتراع

٦ ٤ اسمع يا إسرائيل : إن الرب إلهنا رب واحد .
مرقص ١٢ : ٢٩
٥ أحبب الرب إلهنا بكل قلبك ، وكل نفسك ،
وكل قوتك - متى ٢٢ : ٣٧ مرقص ١٢ : ٣٠ لوقا ١٠ : ٢٧
١٣ و ١٠ : ٢٠ للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد - متى ٤ : ١٠
لوقا ٤ : ٨
١٦ لا تجرب الرب إلهك - متى ٤ : ٧ لوقا ٤ : ١٢
٨ ٣ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان متى ٤ : ٤ لوقا ٤ : ٤

من سفر المزامير

١٧ ٣ سأكون متوكلا عليه - عبرانيين ٢ : ١٣
٤٤ ٧ إن عرشك يا الله إلى دهر الدهور - عبرانيين ١ : ٨
١١٦ ١ سبحوا الرب يا جميع الأمم - رومية ١٥ : ١١
١١٧ ٧ الرب عونى ، فلا أخشى ما ذا يصنع بى الإنسان .
عبرانيين ١٣ : ٦

من سفر أشعيا

الفصل	العدد	
٦	٣	قدّوس، قدّوس، قدّوس، الرب الإله القدير ـ رؤيا ٤: ٨
٦٤	٤	ما لم تره عين ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه(١) ـ ١ كورنتس ٢: ٩

من موعظة السيد المسيح التى ألقاها على الجبل

لما رأى السيد المسيح الجموع صعد إلى الجبل وقال :

طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض، طوبى للحزان (٢) فإنهم يعزون، طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى للأتقياء القلوب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات . .

أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشيء، إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس، انتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة مبنية على جبل، ولا يوقد سراج

(١) جاء هذا الكلام بنصه فى حديث لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى رواية الحزانى.

ويوضع تحت المكيال ، لكن على المنارة لينير على كل من فى البيت ، فيضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الصالحة ، لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لانقض ، بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، ويعلم الناس هكذا فإنه يدعى صغيرا فى ملكوت السموات ، وأما الذى يعمل ويعلم فهـذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات .

قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ... وسمعتم أنه قيل للأولين : لا تزن ، أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنى بها قلبه ، فإن شككتك عينك اليمنى فاقلعها (١) ، وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وقيل إن من يطلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .

قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تحنث بل أوف للرب بأقسامك وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة ، لا بالسماء ، فإنها عرش الله ولا بالأرض ، لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة

(١) فى رواية : فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها .

الملك العظيم (١) ...

سمعتم أنه قيل : عين ، بعين ، وسن بسن . أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضا .

ومن سخرك ميلا واحداً ، فاذهب معه اثنين، من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

... أقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين، لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

أحترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات ... ومتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو الذى يجازيك علانية .

متى صليت فلا تكن كالمرائين ، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع ... لكى يظهروا للناس،الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا

---

(١) وفى رواية : لأنها مدينة الملك العظيم .

أجرهم ، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك ، وأغلق بابك ، وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى فى الخفاء يجازيك علانية ،لا تكرروا الكلام باطلا، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوا ، فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك فى الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين . (١)

فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، لكى تظهروا للناس صائمين ، الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجرهم .

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء .

سراج الجسد العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله مظلما ، لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لا تقدروا أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم

---

(١) هذه الصلاة عند المسيحيين تقابل سورة الفاتحة عند المسلمين.

بما تلبسون ، انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، الستم أنتم بالحرى أفضل منها . . . اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم ، فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه ... يكفى اليوم شره .

لاتدينوا لكى لاتدانوا . . . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم — ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ! لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم .

اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم . . .

كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء .

احترزوا من الأنبياء الكذبة . من ثمارهم تعرفونهم ، هل تجتنون من الشوك عنبا ، أو من الحسك تينا ، هكذا كل شجرة جيدة ، تصنع ثمارا جيدة ، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارا رديئة . .

كل شجرة لا تصنع ثمرة جيدة تقطع ، وتلقى فى النار ، فإذن من ثمارهم تعرفونهم . إلى هنا ينتهى ما نقلناه من موعظة الجبل ، وهى طويلة تجدها فى الفصل الخامس من إنجيل متى ، ثم نأخذ فيما نقلناه من آيات القرآن الكريم .

(ب)

آيات من القرآن الكريم

دعوة الرسل

ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .
النحل : ٣٦

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .
الانبياء : ٢٥

لكل أمة رسول

ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ، وهم لا يظلمون .
يونس : ٤٧

وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .
فاطر : ٢٤

لا حساب إلا بعد البلاغ

من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .
الإسراء : ١٥

رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .
النساء : ١٦٥

رسل الله لا يعلمهم أحد

وكم أرسلنا من نبي فى الأولين .
الزخرف : ٦

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . غافر : ٧٨

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، لايعلمهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالبينات. إبراهيم : ٩

الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل

وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم ، وأنتم معرضون . البقرة : ٨٣

محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل

قل ما كنت بدعا من الرسل، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، أن أتبع إلا مايوحى إلى، وما أنا إلا نذير مبين. الأحقاف : ٩

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان،وآتينا داود زبورا . النساء : ١٦٣

ما عليه إلا البلاغ ، وما هو على الناس بوكيل ولا حفيظ

ما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون . المائدة : ٩٩

وكذب به قومك ، وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل
الأنعام : ٦٦

فإن أعرضوا ، فما أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ .
الشورى : ٤٨

ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظاً ، وما أنت عليهم بوكيل .
الأنعام : ١٠٧

فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر .
الغاشية : ٢١ ، ٢٢

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة
والجدال بالتى هى أحسن

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .
النحل : ١٢٥

لا إكراه فى الدين

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى . البقرة : ٢٥٦

ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء البقرة : ٢٧٢

وقل الحق من ربكم ،فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .
الكهف : ٢٩

ليس للنبي من الأمر شيء

« ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم ».
آل عمران : ١٢٨

القرآن في الكتب السابقة

إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى .
الأعلى : ١٨ ، ١٩

« أم لم ينبأ بما في صحف موسى . وابراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . النجم ٣٦ : ٤١

من آداب ووصايا القرآن

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ؛ يعظكم لعلكم تذكرون .
النحل : ٩٠

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ؛ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . البقرة : ١٧٧

يابني آدم : إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ؛

فمن اتقى وأصلح، فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون، الأعراف : ٣٥

خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .
الأعراف : ١٩٩

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (أى دولتكم) .
الأنفال : ٤٦

إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم الرعد : ١١

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض . الأنفال : ٧٥

فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم[1] . التوبة : ٧

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله الأنفال : ٦١

إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، إن ربى غفور رحيم . يوسف : ٥٣

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . الرعد : ١٧

يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً . البقرة . ١٦٨

قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . الاعراف : ٣٢

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولاتبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لايحب المفسدين . القصص : ٧٧

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . البقرة : ١٨٨

---

١) أى هل الأديان الأخرى وغيرهم .

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله » . البقرة : ١٩٧

فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى النجم : ٣٢

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . آل عمران ١٠٤

ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم إن اتقوا الله . النساء : ١٣١

وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدان واتقوا الله . المائدة : ٢

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . البقرة : ٢٨١

فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الاعراف : ٣٥

واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون . البقرة : ١٢٣

قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله ياأولى الالباب لعلكم تفلحون المائدة : ١٠٠

ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (١) . الأنبياء : ١٠٥

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وأن أسأتم فلها الأسراء : ٧

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . الرعد : ١٧

---

(١) أى الصالحون لعمارتها كما فسرها الأستاذ الأمام محمد عبده وهو التفسير الحق .

يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم الحجرات : ١٣

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره.
الحج : ٤٠

* * *

ونختم هذه الآداب والوصايا الإلهية بهذه الآيات الكريمة ونكتفي بذلك لأن المقام لا يتسع لأكثر منه.

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا، ربكم أعلم بما في نفوسكم، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا، وآت ذا القربى حقه والمسكين، وابن السبيل، ولا تبذر تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفورا، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها، فقل لهم قولا ميسورا، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن

قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا . الإسراء : ٢٣ - ٣٩

— ٢٩ —

دين المستقبل

وفى تمام رسالتنا يطيب لنا أن نأتى برأى حكيم ، لفيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغانى ، أوحت به إليه بصيرة نافذة تستشف ماخفى وراء الأستار ، وتنظر إلى بواطن الأمور فتكتنه ما فيها من الأسرار .

وهذا الرأى قد أجاب به عن سؤال من المرحوم السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

قال السيد محمد توفيق :

قلت مرة للسيد جمال الدين الأفغانى : ما هو دين المستقبل ؟

قال : (١)

هذه الآية من كتاب الله :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »

وقال السيد رشيد رضا رحمه الله (٢)

سمعنا هذه المسألة من البكرى ، وقال أمامنا ، إن السيد قال له: انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة إلى أن يجىء المستقبل يفسرها .

هذا هو رأى السيد جمال الدين فى دين المستقبل ، وكأن فيلسوفنا العظيم قد رأى بعين بصيرته : أن الناس سيصلون إن شاء الله بعلومهم وعقولهم إلى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية ، وتختفى العصبيات المذهبية ، ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعاً ، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد :

---

(١) ص ٦١٠ ج ٥ المنار

(٢) ص ٩٣ ج ١٢ المنار .

(١) إيمان بالله (٢) عمل صالح فى الحياة (٣) إيمان باليوم الآخر ... أما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم ، وبذلك يعيشون فى الحياة تحت ظل من السعادة ظليل ، متحابين ، متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل .

وما يوجد بينهم من خلاف وعدوان ، وبغضاء وشنآن يطرحونه وراء ظهورهم ، لأنه لايعود إلا بالضرر الكبير عليهم .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع المرسلين .

[تم الكتاب]

الفهرس

الكلمة أن تجتمع ، ويوشك المصريون أن يصبحوا يدًا واحدة على خصمهم من الإنجليز. ولكن العصا لا تلبث أن تنشق ، والخلاف لا يلبث أن يعود كأعنف ما كان، لم يغير أحد الفريقين من رأيه ولا من خطته شيئاً .

يقول العدليون إن حب الوفد للرياسة قد أضاع المفاوضات !

ويقول السعديون إن ازدراء عدلى للشعب وممثله قد أضاع الاستقلال ، ويوشك الاستقلال أن ينسى وتنصرف عنه النفوس بفضل هذه الفتنة المظلمة التى كان المصرى فيها يخرج يده فلا يكاد يراها .

على أن تصريح الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف يرد إلى العدليين شيئاً من ثقة وكثيراً من أمل . فقد ظفر ثروت باشا رحمه الله ببعض الحق . وشيء خير من لا شيء !

وقد أتيح لمصر أن تدبر أمورها بنفسها ، وأتيح للشعب أن يكون له دستور ، وأن يحيا حياة ديمقراطية كريمة . . وأصبح السلطان ملكاً ، وأصبح لمصر أن ترسل ممثليها السياسيين إلى البلاد الأجنبية بعد أن عادت إليها وزارة الخارجية التى ألغاها الإنجليز حين أعلنوا الحماية .

وكل هذا يتيح لمصر مظاهر الاستقلال وشيئاً من حقائقه مهما يكن قليلاً فإن له مابعده . ولكن السعديين كانوا ينكرون هذا التصريح ويرونه شرًّا ونكراً ويرون قبوله جريمة وإثماً .

والخلاف يمضى فى طريقه لا تهدأ ثورته ولا تزداد ناره إلا اضطراماً ، وصاحبنا ماض مع أصحابه فى إذكاء هذه النار لا يعنيه أن يرضى عنه الراضون أو يسخط عليه الساخطون ، وإنما هو مقتنع بأن شيئاً خير من لاشيء وبأن القليل صائر إلى الكثير ، وبأن هذه المظاهر ستصبح فى يوم من الأيام حقائق إن عرف المصريون كيف يحزمون أمورهم وكيف يجمعون كلمتهم وكيف يحسنون انتهاز الفرص .

وقد أخذ ثروت باشا رحمه الله يهيئ لوضع الدستور فألف لجنة الثلاثين ، وأخذت هذه اللجنة فى عملها . ولكن شراً آخر يظهر فى أفق مصر . . .

فهذه اللجنة قد أخذت عملها على أنه جد ... وجعلت تضع دستوراً ديمقراطيًّا يخول الشعب من الحقوق ما لا يريد القصر أن يتزل عنه . وإذا سلطان الأمس وملك اليوم يمكر بالوزارة واللجنة جميعاً . وإذا الخلاف يظهر بين القصر وبين ثروت باشا ، وتكون ديمقراطية الدستور هى أصل هذا الخلاف . وصاحبنا ماض فى تأييد الدستور الديمقراطى غير ملق بالاً إلى القصر ولا إلى صاحب القصر الذى أحسن لقاءه ومنحه كثيراً من العطف والبر والتشجيع .

وفى ذات يوم ينبئ ثروت باشا صاحبنا بأن القصر ساخط عليه ، وبأنه يحاول أن يصلح الأمر .

قال صاحبنا متضاحكاً : فأصلح الأمر بين الوزارة وبين القصر إن وجدت إلى ذلك سبيلا . فهذا أجدر بعنايتك من إصلاح الأمر بين القصر وبينى !

ولم يستطع ثروت باشا أن يصلح الأمر بين القصر والوزارة ، ولا بين القصر وصاحبنا ، وإنما استقال .

ونظر صاحبنا فإذا هو بين عدوين لا يدرى أيهما أنكى له من صاحبه .

يراه السعديون مارقاً مالأ المارقين .

ويراه القصر كافراً بالنعمة جاحداً للجميل .

ويرى هو أنه قد أرضى ضميره وأدى واجبه وليكن بعد ذلك ما يكون .

وكذلك غرق صاحبنا فى السياسة إلى أذنيه ، وكان جديراً أن يفرغ للعلم والتعلم وألا يفكر إلا فى طلابه وكتبه ، ولكن بعض الظروف تحيط بالشعوب فتجعل الحيدة بالقياس إلى بعض أبنائها إثماً لا يغتفر ، ولا تمحى آثاره .

وكان صاحبنا يرى الحيدة فى ذلك الوقت جبناً ونفاقاً . والمهم أنه غرق فى

الموضوع	الصفحة

عنوان المؤلف :

الجيزة — ٩ شارع قرة بن شريك ت : ٨٩٥٤٥٦

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

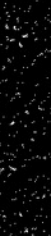
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥١٦١

I.S.B.N 977-01-3928-9

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٤
جمعية الرعاية المتكاملة

بسعر رمزى خمسون قرشاً
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤





مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب